



كلية الكوت الجامعة
مركز البحوث والدراسات والنشر



لكل مثل حكائية

اعداد

أ.م. د. محمد عبد الجبار العزاوي

٢٠٢٣ م

منشورات

مركز البحوث والدراسات والنشر
كلية الكوت الجامعة



٣٩٨ / ٩

ع ٥٢٩ العزاوي ، محمد عبد الجبار
لكل مثل حكاية / محمد عبد الجبار العزاوي.
ط ١ - بغداد : مطبعة الرفاه ، ٢٠٢٣

١٤٢ ص؛ ٢١ سم

١- امثال تراشيتية- أ - العنوان

٠.٩.٠

٢٠٢٣ / ٣٧٧٧

المكتبة الوطنية / الفهرسة اثناء النشر

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

٣٧٧٧ لسنة ٢٠٢٣ م

الرقم الدولي: ISBN: 978-9922-685-60-1

مطبعة الرفاه
07902823204

المحتوى

الصفحة	الموضوع	ت
٧ التمهيد	١ .
١١ أسباب انتشار أمثال العرب في عصر ما قبل الإسلام	٢ .
١٣ المثل عند اللغويين والنحاة	٣ .

الأمثلة

١٦ أبْصِرْ من زرقاء اليمامة	١ .
٢٠ أبلغ من سبحان	٢ .
٢٣ أتتكَ بحائن رجلاه	٣ .
٢٦ إذا كنت ريحًا فقد لاقيت إعصارًا	٤ .
٢٨ إنَّ العصا من العصية	٥ .
٣٠ اختلط الحابل بالنابل	٦ .
٣٢ أخوك من صدِّقك (النصيحة)	٧ .
٣٣ ارحموا عزيز قوم ذل	٨ .
٣٥ أريها السُّها وتريني القمر!	٩ .
٣٨ أسمع جعجعة ولا أرى طِحْنًا	١٠ .

- ٣٩ ١١ . أشأم من اليسوس.....
- ٤٣ ١٢ . أعذر من أنذر.....
- ٤٥ ١٣ . انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا.....
- ٤٨ ١٤ . إِيَّاكَ أعني واسمعي يا جارة.....
- ٥٠ ١٥ . إنك لا تحني من الشوك العنب.....
- ٥١ ١٦ . إياكم وخضراء الدّمن.....
- ٥٤ ١٧ . بالرّفاء والبنين.....
- ٥٥ ١٨ . إنّ البغاث بأرضنا يستنسر.....
- ٥٧ ١٩ . الصيد كلّ الصيد في جوف الفرا.....
- ٦٠ ٢٠ . الصيف ضيّعت اللبن.....
- ٦٥ ٢١ . اليوم خمّرٌ وغدًا أمر.....
- ٦٦ ٢٢ . بلغ السيلُ الزبي.....
- ٧٠ ٢٣ . تسمع بالمعيدي لا أن تراه.....
- ٧٣ ٢٤ . جاء يكحلها عماها.....
- ٧٥ ٢٥ . جزأوه جزاء سنمار.....
- ٧٩ ٢٦ . جوع كلبك يتبعك.....
- ٨٠ ٢٧ . حرامًا يركب من لا حلال له.....
- ٨١ ٢٨ . خذ الحكمة من أفواه المجانين.....

- ٢٩ رَبِّ أَخْ لَكَ لَمْ تَلِدْهُ أُمِّكَ ٨٣
- ٣٠ رَبِّ أَكَلَةٌ مَنَعَتْ أَكَلَاتِ ٨٥
- ٣١ رَبِّ رَمِيَةٌ مِنْ غَيْرِ رَامِ ٨٨
- ٣٢ رَجَعْتُ بِخَفِيِّ حَنِينِ ٩٠
- ٣٣ سَبَقَ السِّيفُ الْعَدْلَ ٩٢
- ٣٤ عَادَتْ حَلِيمَةٌ إِلَى عَادَتِهَا الْقَدِيمَةِ ١٠٠
- ٣٥ عَشْرٌ رَجَبًا تَرَى عَجَبًا ١٠٢
- ٣٦ فِي سَتِينِ دَاهِيَةٍ ١٠٥
- ٣٧ قَابَلَنِي فِي الْمَشْمَشِ ١٠٩
- ٣٨ كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرَ ١١٠
- ٣٩ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعَ ١١٢
- ٤٠ لَا فِي الْعَيْرِ وَلَا فِي النَّفِيرِ ١١٣
- ٤١ لَا مَخْبَأَ لِعَطْرِ بَعْدَ عَرُوسٍ ١١٤
- ٤٢ لَا يَعْرِفُ هِرًّا مِنْ بَرٍّ ١١٥
- ٤٣ لَا يُلْسَعُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جَحْرِ مَرَّتَيْنِ ١١٦
- ٤٤ لَا نَاقَةَ لِي فِي هَذَا وَلَا جَمَلَ ١١٨
- ٤٥ مَسْمَارٌ جَا ١٢٢
- ٤٦ مُكْرَةٌ أَخَاكَ لَا بَطْلَ ١٢٤

٤٧. مواعيد عرقوب ١٣١
٤٨. وافق شئ طبقة ١٣٤
٤٩. وعند جهينة الخبر اليقين ١٣٨

التمهيد

إنّ كل أمة على وجه هذه البسيطة تمتلك تراثها والذي يعبر عن كثير من الوقائع والمناسبات التي حصلت من خلال التاريخ ، ولعل من أبرز أنواع التراث الأمثال والحكم ، والناس يستعملون هذه الأمثال أو الحكم إذا مرّوا بظرف أو حدث في حياتهم اليومية مشابه للظروف الأصلية التي قيلت فيها تلك الأمثال والحكم ، إذ تجسد أفكار الشعوب وتصوراتها وعاداتها وتقاليدها ومعتقداتها ومعظم مظاهر حياتها في صورة حيّة ، وفي دلالة إنسانية شاملة ، ويمكن عدّه عصارة حكمة الشعوب وذاكرتها الباقية المتقدّمة . فيعبرون عنه بمثل أو حكمة ، وهكذا تبقى محفوظة ويتداولها الناس جيلاً بعد جيل مع إضافة ما استجد من أمثال تعبر عن أحداث الحاضر .

والمثل هو جملة قيلت في مناسبة معينة ، فيتم الاستشهاد بها في كل مناسبة مشابهة ، وحتى تصبح الجملة مثلاً لا بد أن تحتوي على حسن التشبيه والكناية ، وقد برع العرب في حسن التشبيه وصياغة الجمل ، حتى اتخذت كأمثال شهيرة لهم .

والأمثال - أيضاً- : قول موجز ، وهو جمع مثل ، جاء ليعبر عن التشبيه بين شيء ما ، مثل تصور حدث ما يمكن استعماله في موقف مشابه له .

والأمثال ، واحدة من أقدم العادات التي ما زالت تستعمل حتى اليوم ، ويرجع تاريخ بعضها إلى الجاهلية والعصور القديمة .

أمّا عن الأمثال الشعبية فقد كان لها قيمة كبيرة ، إذ أدرك العرب الأوائل قيمة هذا الكنز اللغوي البليغ فتعهدوها بالدراسة والنقل ، وجمعوها في كتب الأمثال ، كي لا تضيع أو

تتدرج، منها على سبيل المثال لا الحصر : مجمع الأمثال
للميداني المستقصى في أمثال العرب للزمخشري ، جمهرة
الأمثال للعسكري .

كما أن بعض الأمثال جرت بين الناس من الشعر
والأقوال على غرار قول الطائي للنعمان (إن غداً لناظره قريب)
أو قول الشاعر الخاسر (من راقب الناس مات همًا) ، فضلاً
عن مئات الأمثال الأخرى التي خرجت من دائرة الاستعمال
اليومي إلى التراث المحفوظ في الكتب .

أسباب انتشار أمثال العرب في عصر ما قبل الإسلام

كان عصر ما قبل الإسلام من أشهر العصور التي اشتهرت بالأمثال ، إذ إنماز هذا العصر ببلاغة العرب ، وجاء انتشار أشهر أمثال العرب في ذلك العصر لأسباب عدة منها :

- إنَّ طبيعة البيئة التي كان يعيشها العرب ، هي أحد العوامل التي أدت لشهرة أمثالهم ، إذ كانت نتاجاً لصدق أقوالهم .
- إنَّها ترتبط بأحداث واقعية ساعدت على سرعة انتشارها.
- صياغة الجمل فيها بشكل جيد ومناسب للحدث الذي يُقال فيه المثل .
- ساعد انتشار الحكم عند العرب ، وبراعة استعمالها وانتقان الخطابة إلى شهرة الأمثال وانتقالها بين الألسنة.

والأمثال الشعبية واحدة من أقدم العادات العربية التي ما زالت تستعمل حتى اليوم ، ويرجع تاريخ بعضها - كما أسلفنا - إلى عصر ما قبل الإسلام والعصور القديمة ، إذ حظيت الأمثال الشعبية بعناية خاصة عند الغرب والعرب على حدٍ سواء ونظرًا لأهميتها في الثقافة العربية فقد بلغت عناية الأدباء العرب بها مبلغًا كبيرًا وكان لها طابع مميز .. أما أهم ما تمتاز به الأمثال في ذلك العصر فيمكن تلخيصها في الآتي :

- قلة استعمال الألفاظ وكثرة المعاني السهلة ووضوحها .
- خلو الأمثال من تكلف البديع .
- الإيجاز في الأسلوب وعدم التطويل .
- جمال صياغة الأمثال وسلاسة العبارات .
- جزالة اللفظ وفصاحته وقوة تأثيره .

المثل عند اللغويين والنحاة

١- النحوي اللغوي أبو إبراهيم الفارابي :

إذ عرف المثل في كتابه الشهير (ديوان الأدب) بقوله :
(المثل ما ترضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه ، حتى
ابتدلوه فيما بينهم وفاهوا به في السراء والضراء ، واستدروا به
الممتع من الدر ، ووصلوا به إلى المطالب القصية ، وتفرجوا
به عن الكرب والمكربة ، وهو من أبلغ الحكمة لأن الناس لا
يجتمعون على ناقص أو مقصر في الجودة أو غير مبالغ في
بلوغ المدى في النفاسة).

٢- أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي :

أمّا العالم النحوي المرزوقي ، فعزّف المثل في كتابه
(شرح الفصيح) بأنه : (جملة من القول مقتضبة من أصلها أو
مرسلة بذاتها ، ففتسم بالقبول وتشتهر بالتداول فتنتقل عما
وردت فيه إلى كل ما يصح قصده بها ، من غير تغيير يلحقها

في لفظها واما يوجه الظاهر إلى أشباهه من المعاني ، فلذلك
تضرب وإن جهلت أسبابها التي خرجت عليها ، واستجيز من
الحذف ومضارع ضرورات الشعر فيها ما لا يستجاز في سائر
الكلام).

٣- الفقيه البصري إبراهيم بن سيار النظام :

إذ قال عن المثل (يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في
غيره من الكلام : إيجاز اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحسن
التشبيه ، وجودة الكناية ، فهو نهاية البلاغة).

٤- الأديب المترجم صاحب كلية ودمنة عبدالله بن المقفع :

فقد أسبغ ابن المقفع المديح للأمثال قائلاً: (إذا جعل
الكلام مثلاً ، كان أوضح للمنطق وأنق للسمع وأوسع لشعوب
الحديث).

٥- العالم النحوي أبو العباس محمد بن يزيد المبرد :

قال في المثل : (المثل مأخوذ من المثل ، وهو قول
سائر يشبه به حال الثاني بالأول ، مثلاً، وما مواعيدها إلاّ
الأباطيل) فمواعيد عرقوب علمٌ لكلِّ ما لا يصح من المواعيد).



أَبْصَرُ مِنْ زَرْقَاءِ الْيَمَامَةِ

إنَّ زَرْقَاءَ اسْمَهَا الْيَمَامَةُ ، وَبِهَا سَمِيَ بَلَدُهَا ، وَهِيَ مِنْ بَنَاتِ لَقْمَانَ بْنِ عَادٍ^(١) ، وَقِيلَ : هِيَ مِنْ جَدِيدِيسَ وَقَصَدَهُمْ طَسْمٌ^(٢) فِي جَيْشِ حَسَّانَ بْنِ تَبَعٍ^(٣) ، فَلَمَّا صَارُوا بِالْجَوْ (وَهُوَ اسْمُ النَّاحِيَةِ الْيَمَامَةِ) عَلَى مَسِيرَةِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أَبْصَرْتَهُمْ ، وَقَدْ حَمَلَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ شَجْرَةً يَسْتَتِرُ بِهَا ، فَقَالَتْ :

أَقْسِمُ بِاللَّهِ لَقَدْ دَبَّ الشَّجَرُ أَوْ حَمِيرٌ قَدْ أَخَذْتُ شَيْئًا تَجْرُ

(١) لَقْمَانَ بْنِ عَادٍ : عَرَفَ بِلَقْمَانَ الْحَكِيمِ ، وَذَلِكَ لِحِكْمَتِهِ وَخَبْرَتِهِ الَّتِي اِكْتَسَبَهَا مِنْ طَوْلِ بَقَائِهِ فِي الدُّنْيَا ، وَيَذْكَرُ أَنَّهُ عَاشَ أَلْفِي سَنَةً وَارْبَعِ مِئَةٍ .

(٢) طَسْمٌ وَجَدِيدِيسَ : قَبِيلَتَانِ مِنَ الْعَرَبِ الْبَائِدَةِ الْمَنْسُوبَةِ إِلَى لَأُودِ بْنِ أَرَمِ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ ، سَكَنْتَا شِبْهَ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ .

(٣) حَسَّانَ بْنِ تَبَعٍ : وَهُوَ أَحَدُ الطَّوَافَةِ فِي الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ وَكَانَ مَوْصُوفًا بِالشَّجَاعَةِ وَجُودَةِ الرَّأْيِ وَتَبَعٌ هُوَ لِقَبِّ مَلُوكِ مَمْلَكَةِ حَمِيرٍ ، وَيُقَالُ إِنَّهُ (مَلِكٌ سَبَأٌ وَذِي رِيْدَانَ وَحَضْرَمُوتَ وَيَمْنَتَ)

فلم يصدقها قومها ، فقالت أفسم بالله لقد أرى رجلاً
يَنْهَشُ كَتَفًا ، أو يَحْفِئُ نَفْلًا ، فكذبوها ، ولم يستعِدُوا ،
فصَبَّحهم حَسَانُ فاجتأحهم ، وأخذها فشقَّ عينيها ، وإذا فيها
عُرُوقٌ من الإثمد ، ووصفها الأعشى فقال :

قالت أرى رجلاً في كفه كتفٌ أو يَخْصِفُ النعلَ، لَهْفِي أَيْهَ صَنَعَا
فكذبوها بما قالت فصَبَّحهم ذو آل حَسَانٍ يَرْجِي الموتَ والشَّرْعَا
ولتوضيح هذه القصة ، فإنها تُعدُّ من أشهر أمثال
العرب ، إذ يحكى أنّ زرقاء من قوم (جديس) ، سميت بالزرقاء
لزرقة عينيها ، امتاكت بصراً حاداً حتى أنها كانت ترى
القادمين قبل وصولهم بثلاثة أيام ! ، وقيل أنها تطحن الإثمد
(الكحل العربي) وتملاً به عينيها .

وفي يوم من الأيام قتلت جديس رجلاً يُدعى (طمس)
فراح أهل القتيل إلى الملك حسان التبع اليماني (هو الذي قتله

كليب والوزير سالم^(١) لاحقًا) يسألونه الانتقام لابنهم ، وعندما اقترب التبع من موقع جديس (وكان قد علم عن زرقاء اليمامة حدّة بصرها وذاع صيتها بين العرب أنها ترى الشيء من مسيرة ثلاثة أيام ، أمر رجاله أن يلبسوا أغصان الأشجار كنوع من التمويه ، وبالفعل رأّت زرقاء اليمامة أشجار تتحرك فقالت لقومها :

(يا قوم قد أتتكم الشجر ... أو أتتكم حمير)

لكنهم لم يصدقوها ، وقالوا فيما بينهم إنّ زرقاء اليمامة لم تعد كما كانت ، بل صارت تتوهم شجرًا يمشي، فباغتهم التبع وجنوده وقضوا عليهم عن بكرة أبيهم ، وقيل أنهم قتلوا

(١) الوزير سالم : كان أصغر من أخيه كليب ، إذ كان يبلغ من العمر ١٠ سنوات عندما صار أخيه كليب سيدًا على قومه بعد مقتل والدهم على يد الملك اليماني .

زرقاء اليمامة واقتلعوا عينيها فوجدوها محشوة بالإثمد ، ومن
قول اليمامة أيضاً :

[أقسم بالله لقد دبَّ الشجر... أو حمير قد أخذت شيئاً يُجر]

أَبْلَغُ مِنْ سَحْبَانَ

وسَحْبَانَ بن زُفَر بن أَياس^(١)، دخل على معاوية وعنده
خُطباء القبائل ، فلَمَّا رَأَوْهُ خَرَجُوا لِعَلِّمَهُمْ بِقُصُورِهِمْ عَنْهُ ، فَقَالَ:

لَقَدْ عَلِمَ الْحَيُّ الْيَمَانُونَ أَنَّي إِذَا قُلْتُ أَمَّا بَعْدُ أَنِّي خَطِيبُهَا

قال له معاوية : اخْطُبْ ، فقال : انظروا إلى عصا تُقِيمُ
من أودِي ، فقالوا : وما تصنعُ بها وأنت بحضرة أمير
المؤمنين؟ فقال : وما كان يصنعُ بها موسى وهو يخاطب ربّه !
فأخذها ، فتكلّم من الظُّهر إلى أن فاتت صلاة العصر ، ما
تتحنّح ، ولا سعلَ ، ولا تَوَقَّفَ ، ولا ابتدأ في معنى فخرج عنه
وقد بقيت عليه بقيةٌ فيه ولا مالَ عن الجِنْس الذي يخاطب

(١) سحبان بن زفر : هو سحبان بن زفر بن إياس الوائلي من باهلة ،
خطيب يضرب به المثل في البيان ، يقال : (أخطب من سحبان) و
(أفصح من سحبان) . أو هو صحابي : كان بليغاً يضرب به المثل
في الفصاحة فيقال : أفصح من سحبان وائل .. (ت: ٥٤هـ/٦٧٤م)

فيه، فقال معاوية: الصلاة الصلاة أَمَامَكَ ، أَلَسْنَا فِي تَحْمِيدِ
وَتَمْجِيدِ، وَعِظَةٌ وَتَنْبِيهِ ، وَتَذْكَيرٍ وَوَعِيدٍ ! فقال معاوية : أَنْتَ
أَخْطَبُ الْعَرَبِ ، قَالَ : أَوْ الْعَرَبِ وَحَدَّهَا ! بَلْ أَخْطَبُ الْجَنِّ
وَالْإِنْسِ ، قَالَ : أَنْتَ كَذَلِكَ .

وهناك أمثلة أخرى ، مثل : أَبْلَغُ مِنْ قُسِّ بْنِ سَاعِدَةَ
الأيادي، فالخطابة اشتهر بها سحبان وائل ، ولبلالغة اشتهر
بها قُسِّ بن ساعدة الأيادي.

وجاء نِكْرُ سَحْبَانَ فِي الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ ، كَقَوْلِ حَمِيدِ
الْأَرْقَطِ^(١) فِي دَمِّ ضَيْفٍ لَهُ :

أَتَانَا وَمَا دَانَاهُ سَحْبَانُ وَائِلٍ بَيَانًا وَعِلْمًا بِالَّذِي هُوَ قَائِلُ
فَمَا زَالَ مِنْهُ اللَّقْمُ حَتَّى كَانَتْهُ مِنَ الْعِيِّ لَمَّا أَنْ تَكَلَّمَ بِأَقِلُّ

(١) حميد الأرقط : واسمه حميد بن ثور بن حزن الهلالي العامري ،
شاعر مخضرم عاش زمنًا في الجاهلية لقبه بالأرقط لآثار كانت
يوجهه.

ويقول أبو الفتح البستي^(١) :

سَحْبَانُ مِنْ غَيْرِ مَالٍ بِأَقْلٍ حَصِرُ

وَبَأَقْلٍ فِي ثَرَاءِ الْمَالِ شَحْبَانُ

(١) أبو الفتح البستي : شاعر ، ولد في (بست) ، وهو أبو الفتح بن عبد العزيز البستي ، ينحدر من اصل عربي (٩٤٢هـ/١٠١٠م) وكانت ولادته في أفغانستان ووفاته في اوزبكستان .

أَتَكَ بِحَائِنٍ (١) رَجُلَاهُ

نادم رجلان من بني أسد النعمان بن المنذر ، أحدهما خالد بن المضلل (٢) والآخر عمرو بن مسعود (٣) ، فأغضباه يوماً ، فأمر بأن يُحْفَرَ لكل واحدٍ حفيرة بظهر الحيرة ، ثم يُحْمَلَا فِي تَابُوتَيْنِ وَيُدْفَنَا فِي الْحَفْرَتَيْنِ ، فَفَعِلَ ذَلِكَ بِهِمَا ، حَتَّى إِذَا أَصْبَحَ الْمَنْذِرُ سَأَلَ عَنْهُمَا ، فَأُخْبِرَ بِهَلَاكِهِمَا ، فَتَدِمَ عَلَى ذَلِكَ وَغَمَّهُ الْخَبْرُ ، وَرِثَاهُمَا شَاعِرُ بَنِي أَسَدٍ بِقَوْلِهِ:

(١) الحائِنُ : هو الأحمق

(٢) خالد بن المضلل : هو حاجب بن حبيب بن خالد بن قيس بن المضلل الثعلبي الأسدي ، شاعر جاهلي ، صاحب القصيدة التي مطلعها :

وَبَاتَتْ تَلُومٌ عَلَى ثَادِقٍ لِبُشْرَى فَقَدْ جَدَّ عَصِيَانُهَا

(٣) عمرو بن مسعود : هو أخو عروة بن مسعود ، وعاش إلى أن أُسِنَ .

يا قَبْرُ بين بيوتِ آلِ مُحَرَّقِ جاءت عليك رواعدُ وبروقُ
أما البكاءُ فقلَّ عنكَ كثيرُهُ ولئن بكيتُ فالبكاءُ خليقُ

ثم ركب المنذر ونظر إليهما ، فأمر ببناء الغريين فوق قبرهما وجعل لنفسه يومين في السنة يجلس فيهما عند الغريين ، أحدهما يوم نعيم والآخر يوم بؤس . فأول من يطلع عليه يوم نعيم يُعطيه مئةً من الإبل ، وأول من يطلع عليه يوم بؤسه يُعطيه رأس ظربانٍ أسود ثم يأمر به فيذبح ويُعزى بدمه الغريان . ثم إن عبيد بن الأبرص^(١) كان أول من أسرف عليه يوم بؤسه . فقال له : هَلَّا كان الذَّبْحُ لغيرك يا عبيد .

فقال له : (أنتك بحائنٍ رجلاه) فأرسلها مثلاً .

فقال المنذر : أو أَجَلٌ بَلَغَ أَناه (أي ميعاده) وأصله

أنأه، ثم قال له أنشدني فقد كان شعرك يُعجبني ، فقال عبيد :

(١) عبيد بن الأبرص : شاعر جاهلي من أصحاب المعلقات ويعد من شعراء الطبقة الأولى ، قتله المنذر بن ماء السماء حينما وفد عليه في يوم بؤسه .

حال الجريض^(١) دون القريض ، وبلغ الحِزَامُ الطَّبِيَّينَ فأرسلهما
مثلاً .

ومعنى المثل : إِنَّ الْأَحْمَقَ أَتَاكَ بِنَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ
اضطرار كمن يسعى إلى حتفه بظلفه .

وفي قول آخر إِنَّ أَوَّلَ مَنْ قَالَ الْمَثْلَ : (أَتَتْكَ بِحَائِنٍ
رجلاه) هو الحارث بنُ جَبَلَةَ الغساني^(٢) ، قاله للحارث^(٣) بن
عَيْفِ الْعَبْدِيِّ وكان ابن العيف هذا قد هجاهُ ، أي هجا
الحارث بن جَبَلَةَ وكان ابن العيف في جيش المنذر بن ماء
السماء ، فُقُتِلَ المنذر في حربه مع الحارث بن جبلة ، وأُسِرَ
ابنُ العَيْفِ وأُتِيَ بِهِ إِلَى الحارث ، فقال له: ما الذي أتى بك ؟
فقال ابنُ العَيْفِ (أَتَتْكَ بِحَائِنٍ رجلاه).

(١) الجريض : هو الريقُ اليابس في الفم من غمٍّ أو خوف.

(٢) الحارث بن جبلة : هو أحد ملوك غسان ، فارس يوم حليلة إذ
انتصر جيشه على جيش المنذر بن امرئ القيس . ملك الحيرة .

(٣) الحارث بن عَيْفِ أَبُو واقد الليثي العبدي : وهو من بني مرة كان
من رؤساء المشركين يوم الأحزاب ، ثم أسلم وحسن إسلامه
(ت٦٨هـ) .

إِذَا كُنْتَ رِيحًا فَقَدْ لَأَقَيْتَ إِعْصَارًا

يُضْرَبُ مَثَلًا لِلْقَوِيِّ يَلْقَى أَقْوَى مِنْهُ .

والإعصار: الريح الشديدة تُثِيرُ الغبار حتى يَتَّصِدَ في

السماء.

الجمع : الأعاصير ، وفي القرآن ﴿ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ

فِيهِ نَارٌ فَاخْتَرَقَتْ ﴾^(١).

ونحو المثل : أَنْ أُرْطَاةَ بِنِ سُهَيْةَ قَالَ لِرِزْمِ بْنِ أَبِي رَاسٍ :

إِنِّي أَمْرٌ تَجِدُ الرِّجَالَ عِدَاوَتِي وَجَدَ الرُّكَابُ مِنَ الذُّبَابِ الْأَزْرَقِ

فَقَالَ لَهُ رِزْمٌ :

مِثْلِي مِنَ الْأَقْوَامِ لَيْتُ خَائِرٌ وَرَدُّ وَمَا أَنَا بِالذُّبَابِ الْأَزْرَقِ

^(١) سورة البقرة : الآية ٢٦٦ .

فَعَلَبَهُ : ونحوه (١)

إِذَا كُنْتَ جُلْمُودَ صَخْرٍ لَا أُؤَيِّسُهُ (٢) أَوْقَدُ عَلَيْهِ أَحْمِيَهُ فَيَنْصَدِعُ

(١) العباس بن مرداس يخاطب بهما خفاف ابن ندبة .

(٢) لا أُؤَيِّسُهُ : لا أكسره .

إِنَّ الْعَصَا مِنَ الْعُصَيَّةِ

أَوَّلُ مَنْ قَالَ هَذَا الْمَثَلُ هُوَ الْأَفْعَى الْجُرْهُمِيُّ^(١)؛ حِينَمَا احْتَكَمَ إِلَيْهِ أَبْنَاءُ نِزَارِ الْأَرْبَعَةِ ، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَبْنَاءِ الْأَرْبَعَةِ أَظْهَرَ فِرَاسَةً وَصِدْقَ حَدْسٍ ، فَأَعْجَبَ بِهِمُ الْأَفْعَى الْجُرْهُمِيُّ لِنِبَاهَتِهِمْ فَقَالَ : إِنَّ الْعَصَا مِنَ الْعُصَيَّةِ ، وَإِنَّ خُشْيِنًا^(٢) مِنْ أَحْشَنَ وَالْمُرَادُ أَنَّهُمْ يَشْبَهُونَ أَبَاهُمْ فِي جُودَةِ الرَّأْيِ ، وَقِيلَ إِنَّ الْعَصَا اسْمُ فَرَسٍ لَجَذِيمَةِ الْأَبْرَشِ ، يُقَالُ : إِنَّ قَصِيرًا نَجَا عَلَيْهَا مِنَ الزَّبَاءِ ، وَالْعُصَيَّةُ أَمْ هَذِهِ الْفَرَسُ ، فَالْعَصَا تَحْكِي الْأُمَّ فِي كَرَمِ الْعِرْقِ .

(١) الْأَفْعَى الْجُرْهُمِيُّ : هُوَ كَاهِنٌ وَحَكِيمٌ مِنْ حُكَمَاءِ الْعَرَبِ قَبِيلِ الْإِسْلَامِ ، وَقَدْ قَصَدَتْهُ الْعَرَبُ لِلتَّحْكِيمِ بَيْنَهُمْ ، وَجَعَلَهُ الْمَسْعُودِيُّ مَلَكًا مِنْ مَلُوكِ نَجْرَانَ .

(٢) خُشْيِنٌ وَ أَحْشَنٌ : جِبْلَانٌ أَحَدُهُمَا أَصْغَرُ مِنَ الْآخَرِ .

ويمكن أن يكون المعنى المقصود ، هو أن المرء يكون بحسب الطباع التي ورثها عن والديه ، إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

وفي رواية أخرى ، إنَّ المثل يُضرب في تشبيه الرَّجُل بأبيه ، وأصلُ المَثَل : (العُصَيَّةُ من العَصَا) ، فُقُلِبَ ، أَلَ أن يُراد أن الشيء الجليل يكون في بدئه صغيراً ، كما قيل : (القَرْمُ^(١) من الأفيل) ، وأصلُ المثل أن فُلِحَسًا كان سيِّداً عزيزاً ، يَسْأَلُ سَهْمًا في الجيش وهو في بيته فيُعْطاه ، ثم يَسْأَلُ لبعيره على ما ذكرناه قبل ، ثم نشأ له ابنٌ يُقال له زاهرٌ ، سلك سبيله في ذلك ، فقيل له : (لَعَصَا من العُصَيَّةِ) أي ، أنت من أبيك .

(١) القَرْمُ : الفَحْلُ من الإبل ، والأفيلُ : الصغير منها ، والجمع الإفالُ

اختلط الحابل بالنابل

الحابل : هو الشخص الذي يقوم برمي الرماح في الحرب ، أو هم الجنود الذين كانت مهمتهم إمساك حبال الخيل والجمال .

النابل : هو الشخص الذي يقوم بتسديد السهام في الحرب ، أو هم الجنود رماة السهام والنبال .

كما يُقال : إنّ الحابل هم الجنود الذين يصيدون بالحبال، والنابل هم الجنود الذين يصيدون بالنبال عند اشتداد وطيس المعركة والتحام الجيوش ، وتصاعد الغبار عندها لا يُعرف الحابل من النابل .

ومن أصل المثل ، أن أحد رعاة الأغنام عندما كان يقوم بالتفريق بين الأغنام التي في ضرعها حليب عن تلك التي لا يوجد في ضرعها حليب ، وذلك ليتم بيع تلك الأغنام ، ويحدث في بعض الأحيان أن تختلط تلك الخرفان مع بعضها

بعض ، فيقول الراعي عن تلك الحالة (اختلط الحابل بالنابل)،
وجرى على لسان العامة مجرى الأمثال والحكم الشعبية .

كذلك عند اختلاط الحابل بالنابل ، فلا يعرف من
يمسك الخيل ومن يرمي بالسهام ، من هنا أصبح القول شائعاً
(اختلط الحابل بالنابل) ، أي اختلطت الآراء وتضاربت ولم
تعد واضحة تماماً كما يحدث لدينا الآن ، حيث اختلط المعالي
والأسافل ، ولم نعد قادرين على التمييز بينهم .

مناصب تهب لكل من هب ودب ، وأكارم القوم يركنون
إلى الزوايا ، المعركة محتدمة كما في سوح الوغى ، وقد بلغ
السيل الزبى ، ونحن عاجزون عن التمييز بين (الزين
والشين). تماماً كما قالت العرب اختلط الحابل بالنابل وها قد
التحمت جيوش المصالح واشتد وطيس المعركة وتساعد
الغبار وقد اختلطت الأمور بعضها ببعض واصبح الخيط
الأبيض لا يعرف من الخيط الأسود والعيون أصبحت لا تفرق
بين الألوان وبين ما ترى من الموجودات .

أَخُوكَ مَنْ صَدَقَكَ (النَّصِيحَةَ)

تعني : النصيحة (في أمر الدين والدنيا) وفي صدق
المودَّة ، وله معنى آخر ، وهو أن يصدقك عن عيوبك ، لأنَّ
عيوب كل نفس تستترُّ عنها ، وتظهر لغيرها .

وقيل : (الرجلُ مرآة أخيه) ، يعني : إذا رأى منه ما يكره
أخبره به ونهاه عنه ، ولا يوطنه العشوة (العشرة) ! .
(وقلت :

عَزَّ الكمالُ فما يحظى به أحدٌ فكلُّ خلقٍ وإن لم يدرِ ذو عابٍ
وعلى هذا قالوا : المرءُ مرآة أخيه ، وأخذ بعضهم هذا
الكلام فقال : أنا كالمرآة ألقى كلَّ وجهٍ بمثاله] .

ارحموا عزيز قوم ذلّ

أرسل رسول الله (ﷺ) جنده إلى طيئ بقيادة علي بن أبي طالب (E) ففرع زعيمهم عدي بن حاتم الطائي ، وهرب إلى الشام ، وكان حينها من أشد الناس عداوة لرسول الله (ﷺ) ، وأخذ الجند الغنائم والخيل والنساء وأسروهم ، وعادوا بهم إلى رسول الله (ﷺ) .

وكان من بين الأسرى سفانة بنت حاتم الطائي ، والتي وقفت بين يدي رسول الله ، وقالت : يا محمد لقد هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فإن رأيت أن تخلي عني ، ولا تشمت بين أحياء العرب ، فإن أبي كان سيد قومه ، نفاك العاني ، ونقتل الجاني ، ونحفظ الجار ، ونطعم الطعام ، ونفرج عن المكروب ، ونفشي السلام ، ونعين الناس على نوائب الدهر ، وما أتاه أحد ورده خائبًا قط ، أنا بنت حاتم الطائي ، فقال رسول الله (ﷺ) : والله هذه أخلاق المسلمين ، لو كان أبوك مسلمًا لترحمنا عليه ، وقال اتركوها ، فإن أباهما كان يحب مكارم

الأخلاق ، ففك أسرها هي ومن معها ، إكرامًا لخصال أبيها ، وقال (o) (ارحموا عزيزًا ذلّ وغنيًا افتقر ، وعالمًا ضاع بين جهال) ، فلما سمعت بذلك ، دعت له ، وعادت إلى أخيها عدي بن حاتم الطائي ، وأخبرته عن كرم الرسول وعفوه ، وأنه أرقّ الناس خصالًا ، يحب الفقير ، ويفك الأسير ، ويرحم الصغير ، ويعرف قدر الكبير ، وليس هناك أجود منه ، ولا أكرم ، فلما سمع بذلك عدي ، أدرك أن الإسلام مثل نبيه: يدعو لمكارم الأخلاق .. فقدم إلى رسول الله (o) هو وأخته سفانة ، وأسلما بالله (ﷺ) ، فكانت رحمة النبي بهم هي السبيل لهديهم.

يُعدُّ هذا المثل من أكثر الأمثال المتداولة بين الناس حتى وقتنا هذا ، ويطلق على من أصابته تقلبات الدهر ، ودعته الحاجة إلى الناس فبعد أن كان عزيزًا ذا مال وجاه ، صار خالي اليدين .

وهنا انطلق هذا المثل ليرحم هؤلاء من قسوة الناس وذلكهم .

أريها السُّها وتُريني القَمَر

المثل لابن الغز (١) ، وكان عظيم الذِّكر !! ، فإذا واقع امرأة ذهب عقلها، فأنكرت امرأة ذلك ، وقالت سأجرب ؛ فلما واقعها قال لها : أين السُّها ؟ (وهو كوكب صغير في بنات نَعَشٍ) قالت : ها هو ذا - وأشارت إلى القمر فضحك ، وقال : (أريها السُّها وتُريني القمر) وذلك لأنَّ القمر والسها يلتقيان في كل شهر مرة .

(١) ابن الغز : يقال أنكح من ابن الغز، وهو رجلٌ اختلفوا في اسمه ، فقال : هو سعد بن الغز الأيادي ، وقال ابن الكلبي هو الحارث بن الغز ، وقال عروة بن أشيم الإبادي ، وكان أوفر الناس متاعًا ، وأشدهم نكاحًا . زعموا أن عروسه زفت إليه فأصاب رأس (أيره) !!
جَنبها ، فقالت له : أتهددني بالركبة؟ !!

فلما كان أيام الحجاج^(١) شُكِيَ إليه خرابُ السّواد ، فحرّم
لحوم البقر ليكثر الحرث، فقال بعض الشعراء :

شَكُونَا إِلَيْهِ خَرَابَ السَّوَادِ فحَرَّمَ فِينَا لُحُومَ البَقْرِ
فكان كما قيلَ من قَبَلِنَا أُرِيهَا السُّهَى وَثُرَيْنِي القَمَرِ

وفي رواية أخرى إذ ذكر الشرقي القطامي: كانت في
عصر ما قبل الإسلام امرأة أكلت خُلُقًا وجمالًا ، وكانت تزعمُ
أنَّ أحدًا لا يقدر على جماعها لقوتها ، وكانت بكرًا ، فخاطرها
ابنُ الغَزِّ الأيادي - وان واثقًا بما عنده- على أنه إن غلبها
أعطته مئة من الإبل ، وإن غلبته أعطتها مئة من الإبل ، فلما
واقعتها رأت لمحا باصرًا ورهزًا شديدًا وأمرًا لم تر مثله قط ،
فقال لها : كيف ترين ؟ قالت : طعنا بالركبة يا ابن الغز ؟
قال : فانظري إليه فيك ، قال : القمر هذا ، فقال : أريها

(١) الحجاج : هو أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي ، قائد وسياسي
أموي ، ولد في الطائف وانتقل إلى الشام قلده عبد الملك بن مروان
أمر عسكره (٤٠-٩٥هـ/٦٦١م-٧١٤م) .

اسْتَهَا وَتُرِينِي الْقَمْرَ ، (فَأَرْسَلَهَا مَثَلًا ، وَظَفَرَ بِهَا ، وَأَخَذَ مِئَةً
مِنَ الْإِبْلِ ، وَبَعْضُهُمْ يَرْوِيهِ : (أَرِيهَا السُّهَاءُ وَتُرِينِي الْقَمَرَ) .
يَضْرِبُ هَذَا الْمَثَلُ ، لِمَنْ يُغَالَطُ فِيمَا لَا يَخْفَى .
أَوْ : لِمَنْ تُخَاطَبُهُ فَيُؤَيِّدُ فِي الْجَوَابِ .

أَسْمَعُ جَعَجَعَةً وَلَا أَرَى طَحْنًا

معناه : أسمع جَلْبَةً وَلَا أرى عملاً

والجعجعةُ هنا الصوت ، وفي موضع آخر الإلجاءُ إلى المَضيقِ .

يُقال : جَعَجَعَ به ، إذا ألجأه إلى المَضيقِ ، قال أبو فُبَيْسِ بنِ الأَسَلْتِ (١) :

مَنْ يَذُقِ الحَبَّ يَجِدُ طَعْمَهَا

مُرًّا وَتَتْرِكُهُ بَجَعَجَاعٍ

والطَّحْنُ بالكسر : الدَّقِيقُ ، وبالفتح : المصدر من طَحَنَ طَحْنًا .

(١) أبو فُبَيْسِ بنِ الأَسَلْتِ : وهو من الصحابة والأَسَلْتِ هو ، لقب أبيه واسمه عامر بن جشم ، من شعراء ما قبل الإسلام .

أشأم من البسوس

البسوس^(١): هي (البسوس بنت منقذ) ، من قبيلة بكر ، وإليها تُنسب حرب البسوس التي وقعت في تهامة ودامت ٤٠ سنة ، وكانت بين قبيلتي تغلب وبكر ابني وائل ومَن حالفهما من القبائل العربية ، وانتصرت تغلب في أربع حروب ، وبكر في واحدة ، وتكافأت القبيلتان في حرب واحدة ، ودارت رحى كلِّ معاركها في تهامة ونجد ، في كل صيف في ذكرى وفاة كليب . وكانت البسوس قد خرجت بناقتها في زيارة إلى جساس بن مرة ابن أختها ، وفي أثناء تلك الزيارة خرجت ناقة البسوس لترعى مع إبل جساس ، وحدث أن انطلقت الناقة في

(١) بسوس : بنت منقذ التميمية ، شاعرة ما قبل الإسلام ، يضرب المثل بشؤمها ، خالة جساس بن مرة الشيباني ، كانت لها (أو لجارها) ناقة يقال لها سراب .

أرض كليب بن ربيعة ، وهو زوج جلييلة أخت جساس ، وكان سيد قبيلة تغلب .

ولما عرف كليب أن هذه الناقة الغربية التي اقتحمت أرضه هي ناقة خالة جساس الذي لم يكن يحبه لما تدعيه جلييلة من أنّ أباها يساوي كليب في المنعة والعزة وهو الذي كان يُضرب به المثل في العرب ويقال عنه (أعزّ من كليب) . أمر كليب بقتل الناقة فنارت البسوس ، وأطلقت صيحتها الشهيرة (وا ذلاه) ! مستتجة بجساس كي يثار لها من كليب، وكان من قوم جساس رجلاً شجاع عاقل وماهر الحرب يسمى الحارث بن عباد^(١) رفض مساعدة قومه في الحرب ، إذ لم يعجبه أن يُقتل كليب وهو سيد قومه في ناقة ، فقال : لن أُشارك في حرب (لا ناقة لي فيها ولا جمل) .

(١) الحارث بن عباد : حكيم وشاعر وسيد من سادات العرب في عصر ما قبل الإسلام ، في أيامه كانت حرب البسوس فاعتزل القتال مع قبائل من بكر (ت ٤٦٤م - ٥٧٠م) .

وأخبرها أنه سيأتي لها بـ (١٠٠) ناقة من نوق تغلب
عوضًا عن ناقتها ، فما كان من البسوس إلا أن هجت قومها
بشعر وعائرتهم بقلة النخوة والمروءة ، فسقط ذلك في نفس
جساس وخرج لقتل كليب (زوج أخته جلييلة) ثم ندم جساس
وجاء أبيه أسفًا على فعلته فأشار عليه أبوه بالهرب ، وإلا فإن
بكر ستسلمه لتغلب ، فجاء المهلهل بن ربيعة ^(١) المعروف
بالزير سالم - أخو كليب - وطالب أن يمنحوه جساس ليقتله
بأخيه ، فقالوا له إنه هرب ، فطلب أن يأخذ همام أخو جساس
أو زوجة أبيه عوضًا عنه ، لينتقم من أحدهما لمقتل أخيه ،
فرفض بنو بكر ، وقالوا لا نُسلم أحدهما من دون قتال ،
فاشتعلت الحرب بين الحيين ، ودامت نحو أربعين عامًا .

(١) المهلهل بن ربيعة : أبو ليلى المهلهل عدي بن ربيعة، شاعر من
الأبطال العرب في عصر ما قبل الإسلام ، من أهل نجد وهو خال
امرئ القيس ، قيل : لُقّب بالمهلهل ، لأنه أوّل من هلهل نسج الشعر
أي رققه ، عكف في صباه على اللهو والتغزل بالنساء ، فسماه أخوه
كليب (زير نساء) أي جليسهنّ (ت٤٤٣م-٥٣١م).

وضربت العرب المثل بالبسوس في الشؤم وجعلوها نذير
الخراب ، بسبب ما جرته على العرب آنذاك من ويلات ،
فقليل [أشأم من البسوس]..

أَعْذَرَ مَنْ أَنْذَرَ

أي أقام العُدْرَ مَنْ خَوَّفَ قبل الفعل . ويقال : أَعْدَرَ الرجلُ إذا بلغ أقصى العُدْرَ ، وَعَدَّرَ إذا قَصَّرَ ، وإذا اعتذر ولم يأتِ بعذر . وفي القرآن الكريم : ﴿ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ ﴾ (١) .

وقولهم : مَنْ عذيري من فلان ؟ أي مَنْ يعذرنِي منه ، والعهْذِيرُ : مصدرٌ بمنزلة النكير ؛ فَأَمَّا قول النبي (o) (لن يَهْلِكَ النَّاسُ حَتَّى يُعْذِرُوا) (٢) ، فَإِنَّهُ مِنْ قَوْلِهِمْ : أَعْدَرَ الرَّجُلُ ، إِذَا كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ وَعَيُوبُهُ . وقيل : حَتَّى يُعْذِرُوا مِنْ يُعْذِبُهُمْ أَي يَقِيمُوا لَهُ عُدْرًا ، وَأَمَّا قَوْلُهُمْ : تَعَدَّرَ عَلَيَّ الْأَمْرُ فَمَعْنَاهُ ضَاقَ عَلَيَّ ، وَسُمِّيَتْ الْعُدْرَاءُ عُدْرَاءً لِضَيْقِهَا ، وَيُقَالُ : اعْتَذَرَ الرَّجُلُ ؛ إِذَا أَتَى بِعُدْرٍ ، وَاعْتَدَّرَ ، إِذَا لَمْ يَأْتِ بِعُدْرٍ .

(١) سورة التوبة : الآية ٩٠ .

(٢) الجامع الصغير : ٢١٦/٢ ، عن أحمد وأبي داود .

ومنه قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ ﴾ (١).

وأما قول لبيد :

إلى الحَوْلِ ثم اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا

وَمَنْ يَبِكِ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اعْتَذَرَ (٢)

فمعناه : فقد أتى بعذر .

- ومعناه أيضًا - مَنْ حَذَرَكَ مَا يَحِلُّ بِكَ فَقَدْ أَعَذَرَ إِلَيْكَ،

أي : صار مَعذُورًا عندك .

(١) سورة التوبة : الآية ٩٤ .

(٢) ديوانه : ٢١٤ .

انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً

كان مذهب أهل ما قبل الإسلام أن ينصروا قرناءهم
وجيرانهم وأصدقاءهم ، مُحَقِّين أكانوا أم مُبْطِلِينَ ؛ وعلى هذا
المذهب يقول الراجز :

إِنَّ أَخَا الصِّدْقِ الَّذِي يَسْعَى مَعَكَ وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ
وَمَنْ إِذَا صَرَفَ زَمَانٍ صَدَعَكَ شَتَّتَ شَمْلَ نَفْسِهِ لِيَجْمَعَكَ

وَإِنْ غَدَوْتَ ظَالِمًا غَدَا مَعَكَ

وقد روى هذا الكلام عن النبي (٥) ؛ فإن كان صحيحاً
فمعناه : إنصر أخاك مظلوماً - وكفَّهُ عن ظلمه إن كان
ظالماً ، فتكون قد نصرته إذا منعته مِنَ الإِثْمِ ؛ لأنَّ النبي (٥)
لا يَأْمُرُ بِنُصْرَةِ الظَّالِمِ .

ونحو هذا المعنى قول الشاعر :

وَإِنَّ ابْنَ عَمِّ الْمَرْءِ مَنْ شَدَّ أَرْبَهُ وَمَنْ كَانَ يَحْمِي عَنْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي

وقال الآخر :

لَعْمُرِكَ مَا أَدَى امْرُؤٌ حَقَّ صَاحِبٍ إِذَا كَانَ لَا يَزْعَاهُ فِي الْحَدَثَانِ

وقال آخر :

يَغْشَى مَضْرَتَهُ لِنَفْعِ صَدِيقِهِ لَا خَيْرَ فِي وُدِّ إِذَا لَمْ يَنْفَعِ

وقال آخر :

لَا أَحَا لِلْمَرْءِ إِلَّا مَنْ نَفَعَ

(وقلت :

أخوك الذي تُرضيه لا من تودُّه

ألا ربُّ وُدِّ لا يُفيدُ فتيلًا)

فقير يُروى عن النبي (o) قال هذا

فقيل : يا رسول الله ، هذا يُنصر مظلومًا ، فكيف

ننصره ظالمًا .

فقال (o) : تُرد عن الظلم

وعن أنس (لفظة أنصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا ،
قال : كيف أنصر ظالمًا، قال: تحجزه عن الظلم فإن ذلك
نصره).

توضيح :

قوله (انصر أخاك ظالمًا) أو مظلومًا. يجوز أن يكون
ظالمًا أو مظلومًا حالين من قوله : أخاك . ويجوز أن يكون
حالين من الضمير المستتر في الأمر ، يعني : انصره ظالمًا
(إن) كنت خصمه ، أو مظلومًا من جهة خصمه ، أي لا
تُسلمه في أي حالٍ كنت .

إِيَاكَ أَعْنِي وَاسْمِعِي يَا جَارَةَ

قصد سهل بن مالك الفُزاري^(١)، النعمان فمرّ بأحياء طيء، وفيها سأل عن سيدها فقالوا الحارثة (حارثة بن لأم)^(٢)، ولما قصد بيت الحارثة، لم يجده، بل وجد أخته، فأدخلته وأكرمته وكانت امرأة جميلة من أشرف قومها، فرغب سهل بها ولم يجد سبيلاً ليقول لها ما يجول في خاطره، فجلس في حديقة البيت ينشد :

يَا أُخْتَ خَيْرِ الْبَدْوِ وَالْحَضَارِهِ كَيْفَ تَرَيْنَ فِي فِتْيِ فَزَارِهِ
أَصْبَحَ يَهْوَى حُرَّةً مِعْطَارِهِ إِيَاكَ أَعْنِي وَاسْمِعِي يَا جَارَةَ

(١) سهل بن مالك الفزاري : رجل من بني فزارة ، وكان في طريقه إلى مدينة الحيرة في العراق للالتحاق بالملك النعمان .

(٢) أوس بن حارثة بن لأم: كان سيد قبيلة طيء ، وسيد من سادات العرب قبل الإسلام ، كان شاعرًا يُضرب به المثل في الكرم ، وكان مساويًا لابن عمه حاتم الطائي في الكرم لكن الإعلام لم ينصفه ، وينسب إليه قبيلة بني لأم الطائية .

فأرسل قوله مثلاً يراد به قول أمر يقصد به التلميح
فخاطب غير المقصود ، بغير المراد أي يقال لمن يتوجه
بالكلام إلى احد غير المقصود به.

ولهذا المثل حكاية أخرى ...

قال سيّار بن مالك الفزاري لأخت حارثة بن لأم
الطائي، وذلك أنه نزل بها فنظر إلى بعض محاسنها فهويها
واستحيا أن يُخبرها بذلك ، فجعل يُشَبِّبُ بامرأة غيرها ، فلما
طال ذلك ، وضاق ذرعاً بما يجده وقف لها فقال :

كانت لنا من عَطْفَانِ جَارِهِ حَلَالَةٌ ظَعَانَةٌ سَيَّارُهُ
كَأَنَّهَا مِنْ هَيْئَةٍ وَشَارِهِ وَالْحَلِي حَلِي التَّبْرِ وَالْحِجَارُهُ
مَدْفَعٌ مَيْثَاءٌ إِلَى قَرَارِهِ إِيَّاكَ أَعْنِي فَاسْمَعِي يَا جَارُهُ
وَالْحَازِمُ الْعَاقِلُ قَادِرٌ أَنْ يَكْتُمَ كُلَّ شَيْءٍ يَرِيدُ كِتْمَانَهُ ، إِلَّا
الهُوَى فَإِنَّ كِتْمَانَهُ مَمْتَنَعٌ .

إِنَّكَ لَا تَجْنِي مِنَ الشُّوكِ مِنَ الْعِنَبِ

ومعنى المثل إنك لا تجد عند ذي المنبتِ السوء جميلاً،
والمثل من قول أکثم بن صَيْفِي ، يقال : أراد إذا ظُلمتَ فاحذر
الانتصار ، فإنَّ الظلم لا يكسبُكَ إلاَّ مثلَ ذلك .

وفي هذا يقول الشاعر :

إِذَا وَتَّرْتَ امْرَأً فَحَدَّرْ عِدَوَاتَهُ

مَنْ يَزْرَعِ الشُّوكَ لَا يَحْصُدُ بِهِ عِنْبًا

إِيَّكُمْ وَخَضْرَاءَ الدِّمَنِ

وهو كلام النبي (٥) .

والدِّمَنِ : نبتٌ يَنْبُتُ على البحر ، فيروقُ ظاهرُهُ ، وليس في باطنه خير ، وَضَرَبَهُ مثلاً للمرأة الحسنة في منبتِ السُّوءِ ، وَكُرِهَ ذلكَ لأنَّ عِرْقَ السُّوءِ يَنْزِعُ .

ومثل قول العرب : إِيَّكُمْ وعقيلةُ المِلْحِ ، يعنون الدِّرةَ ، وهي تكونُ في الماءِ الملحِ ، ومعناه النَّهي عن نكاحِ الحسنةِ في مَنْصِبِ السُّوءِ .

وأُشْدَّ بعضهم قولَ زُفَرِ بنِ الحارثِ^(١) يعقبُ هذا الخبرُ :

(١) أبو الهذيل زفر بن الحارث بن عمرو بن كلاب، من الطبقة الأولى من التابعين ، من أهل الجزيرة الفراتية ، وكبير قيس عيلان ، وكان من الأمراء ، وقد شهد موقعة الجمل . أمّا وفاته فقد كانت في خلافة عبد الملك بن مروان ، إذ قال البغدادي : في بضع وسبعين .

وقد يُنْبِتُ المَرْعى على دِمَنِ الثَّرى

وتَبْقَى حَزَازَاتُ النُّفوسِ كما هيا

وقال غيره : ليس هو منه في شيء ، قال : ومعناه أن الدِّمَنَةَ هي الموضع الذي تَبْرُكُ فيه الإبل ، فتبولُ وتبعرُ فيه ، فلا يُنْبِتُ شيئاً ، فإذا أصابته السماء وسَفَتَه الرياح أنبَتَ ، فيقول إن ذلك الموضع قد يُنْبِتُ بعد أن لم يكن يُنبت فيتغير بالنبات ، وتبقى حزازاتُ النفوس لا تتغير .

وقال الشيخ أبو هلال^(١) (ع) : وهذا مثلُ قول صاحب كليلية : لكل حريقٍ مُطْفِئٍ، للنار الماء ، وللسم الدواء ، وللعشق البين ، ونارُ العداوة لا تُخمدُ أبداً بشيء من الأشياء .
وقول الشاعر :

فلا يَغْرَنُكَ أَضغانٌ مُرْمَلَةٌ قد يُضْرَبُ الدَّبْرُ الدامي بأحلاسٍ

(١) الشيخ أو هلال : هو محمد وكنيته أبو هلال أو لقبه الشيخ الفاضل (ت ٩٨٩هـ - ١٠٥٠هـ) ، وله من العمر ٦٣ سنة نشأ يتيم الأب ، وارتأ عن أهله بعض الماشية التي كانت مصدر معيشته مع أمه .

وتقول العرب : (عِرْقُ السُّوءِ يُنْجِثُ ولو بعد حين). أي
يُستخرج منه ما هو كامنٌ فيه .

قال أكتم بن صيفي^(١): لا يَغْلِبَنَّكُمُ الجمالُ على صراحةِ
النسبِ فإنَّ المناكحَ الكريمةَ مَدْرَجَةٌ للشرفِ.

وقال الشاعر :

فأدركه خالاته فاخترننه

ألا إنَّ عِرْقَ السُّوءِ لا بُدَّ مُدْرِكُ

(١) أكتم الصيفي : أكتم بن صيفي بن رباح الأسدي ، أشهر حكام
العرب في عصر ما قبل الإسلام ، وأحد المعمرين فيها ، وكان سيد
من سادات العرب ، شريفًا ، حكيماً ، وفارسًا شجاعًا ، ومستشارًا
خبيرًا (ت ٦٣٠م).

بالرفاء والبنين

قال أبو عبيد : الرِّفَاءُ : الإلتحام والاتفاق ، مِنْ رَفَيْتُ
الثوب، قالوا : ويجوز أن يكون من رَفَوْتَهُ إِذَا سَكَنْتَهُ ، قال أبو
خِرَاشِ الْهَذَلِيِّ^(١) :

رَفَوْنِي وَقَالُوا: يَا خُوَيْلِدُ لَا تُرْعَ فقلتُ وَأُنْكِرْتُ الْوَجُوهَ: هُمْ هُمْ
وهنَّأَ بَعْضُهُمْ مَتَزَوِّجًا فَقَالَ : بالرفاء والثبات والبنين لا
البنات .

ويروى : (بالبنات والثبات) .

(١) خويلدة بن مرة ، من بني هذيل ، من مضر (نحو ١٥٠هـ/٦٣٦م) ،
شاعر مخضرم ، وفارس فاتك ، اشتهر بالعدو ، فكان يسبق الخيل
اسلم وهو شيخ كبير ، وعاش إلى زمن عمر بن الخطاب (E) ، وله
معه أخبار نهشته حياة فقتلته .

إِنَّ الْبُغَاثَ بَارِضًا يَسْتَنْسِرُ

والبغاث : صِغار الطير ، الواحدة : بُغَاثة والجمع بُغْثَان

يَسْتَنْسِرُ: أي يصير نسرًا ، فلا يُقَدَّر على صيده .

قال الشاعر : عباس بن مرداس^(١)

بُغَاثُ الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فِرَاخًا وَأُمُّ الصَّفْرِ مِقْلَاةٌ تَزُورُ

يراد به أن النَّتَاجَ الكَرِيمَ قَلِيلَ ، وقال أَيْمَنُ بنُ حُزَيْمٍ^(٢)

في خلاف ذلك ، وقد غَطَّ...

وَأَنَا قَدْ رَأَيْتُنَا أُمَّ بَشِيرٍ كَأُمِّ الْأَسَدِ مَكْثَارًا وَلُودًا

(١) العباس بن مرداس: وكنيته أبو الهيثم، صحابي وشاعر فارس، يُعد

من المخضرمين ، من سادات قومه بني سليم أدرك عصر ما قبل

الإسلام والإسلامي ، وكان من المؤلفة قلوبهم (ت ٦٣٩هـ) .

(٢) أَيْمَنُ بنُ حُزَيْمٍ : تابعي ، وشاعر وأحد رواة الحديث النبوي كان من

ذوي المكانة (ت ٨٠هـ/٧٠٠م) . وكان من شعراء الدولة الأموية

المجيديين ، ثقة ، أسلم يوم الفتح .

فمدحها بكثرة الأولاد ، وذلك خلافاً المحكي عنهم ،
وكلُّهم حكى أن نتاج الحيوانات الكريمة قليل .
ويضرب هذا المثل للضعيف يصير قوياً ، وللذليل يعزُّ
بعد الدل .

أي: يضرب للعزير يعزُّ به الدليل

الصيد كلّ الصيد في جوف الفرا

هذا مثل قد استعمل في الشعر أيضًا ..

وأصلُ المثل : أنّ ثلاثة أشخاص خرجوا يتصيدون ، فاصطاد أحدهم أرنبًا والثاني ضبيًا والثالث حمارًا ، فأخذ صاحب الأرنب وصاحب الظبي يتناولان على صاحب الحمار ، فقال (كلّ الصيد في جوف الفرا) أيّ إنّ الذي صدّته وهو الفرا أي (حمارُ الوحش) يعادل ما صدّتهما أو يشتمل على الأرنب والظبي .

بمعنى أنه ليس مما يصيده الإنسان أعظم من الحمار الوحشي .

واستأذن أبو سفيان^(١) مرّةً على النبي (صلى الله عليه وسلم) ، فحُجِبَ عن الدخول بعض الوقت، فلما دخل آخِرًا قال

(١) أبو سفيان بن حرب : أبو سفيان صخر بن حرب ، صحابي من سادات قريش قبل الإسلام ، وهو والد معاوية بن أبي سفيان مؤسس

بشيء من الغضب : ما كدت تأذنُ لي حتى تأذنَ لحجارة
الجلهتين (أي جانبي الوادي) ، فقال له الرسول (ﷺ) : يا أبا
سفيان ، أنتَ كما قيل :

(كلّ الصيد في جوف الفرا) ، أي إنني إذا حَبَبْتُكَ أنتَ
لم يَغْضَبْ كُلُّ محجوبٍ غيرِكَ ، فأنتَ أفضلُ من غيرِكَ .

وكان يريد النبي .. أن يتألّف أبا سفيان على الإسلام .

وقد ورد هذا المثل في أشعار - أيضًا - من ذلك قول
محمود أبو النّاء^(١) :

الدولة الأموية ، كان تاجرًا واسع الثراء وزعيم أشراف قريش الذين
عارضوا محمدًا (ﷺ) ودعوته (٥٦٧-٦٥٢م) .
^(١) محمود أبو النّاء : هو شهاب الدين أبو النّاء الألوّسي ، مفسّر
ومحدّث وفقه وشاعر وخطّاط وأديب من المجددين ، شيخ العلماء
في العراق وندارة من النوادر ، وله كتاب قيّم في تفسيره الكبير (روح
المعاني) الذي استغرق تأليفه (١٥) سنة (١٢١٧-١٢٧٠هـ/١٨٠٣-
١٨٥٤م) . يرجع نسبه إلى مدينة آلوس وهي جزيرة في وسط نهر
الفرات في محافظة الأنبار .

يقولون كافات الشتاء كثيرةً

وما هي إلاّ واحدٌ غيرُ مُفترى

إذا صحَّ كاف الكيس فالكل حاصلٌ

لديك وكلُّ الصيدِ يوجد في الفرا

وقال ابنُ عنين^(١) في مدح الملك العادل :

لا تَسْمَعَنَّ حَدِيثَ مَلِكٍ غَيْرِهِ

يُرْوَى، فكلُّ الصيدِ في جوف الفرا

(١) أبو عنين : شاعر في زمن صلاح الدين الأيوبي ، ولد في دمشق

(٥٤٩-٦٣٠هـ/١١٥٤-١٢٤٤م) . وله ديوان : ابن عنين .

الصِفَ ضَيَّعَتِ اللَّبْنَ

وُضِعَ هَذَا الْمَثَلُ فِي الْأَصْلِ لِمَخَاطَبَةِ امْرَأَةٍ ، لِذَلِكَ يُقَالُ :
(ضَيَّعَتِ) ، وَلَكِنَّهُ يَسْتَعْمَلُ - أَيْضًا - لِلرَّجُلِ عَلَى السَّوَاءِ لِأَنَّ
الْمَثَلَ يَبْقَى عَلَى رِوَايَتِهِ بَدُونَ تَغْيِيرٍ .

وَأَصْلُ الْمَثَلِ . أَنَّ عَمْرُو بْنَ عَمْرُو بْنَ عَدُسٍ كَانَ تَزَوَّجَ
ابْنَةَ عَمِّ أَبِيهِ وَاسْمَهَا (دُخْنُوسٌ^(١)) أَوْ (دَخْنُتُوسٌ عَلَى الْأَصَحِّ) ،
بِنْتُ لَقِيْطِ بْنِ زُرَّارَةَ^(٢) بَعْدَ مَا أَسَنَّ ، وَكَانَ أَكْثَرَ قَوْمِهِ مَا لَا
فَكَرِهَتْهُ وَلَمْ تَزَلْ تَطْلُبُ الطَّلَاقَ مِنْهُ حَتَّى طَلَّقَهَا ؛ فَتَزَوَّجَهَا

(١) دَخْنُتُوسٌ : بِنْتُ لَقِيْطِ بْنِ زُرَّارَةَ الدَّارِمِيَّةُ ، مِيْلَادُهَا فِي نَجْدٍ نَحْوِ
(٣٠ ق هـ / نَحْوِ ٥٩٤ م) . شَاعِرَةٌ جَاهِلِيَّةٌ مَجِيْدَةٌ مُحْسِنَةٌ ، مِنْ بَنِي
تَمِيْمٍ وَلَهَا شَعْرٌ كَثِيْرٌ مِنْهُ الْهَجَاءُ وَالْمَدْحُ وَالرِّثَاءُ . تَزَوَّجَتْ ثَلَاثَةَ رِجَالٍ
وَهُمْ أَبُو شَرِيْحٍ عَمْرُو بْنُ عَدَسِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنُ دَارِمٍ وَهُوَ ابْنُ
عَمِّهَا وَعُمَيْرِ بْنِ مَعْبِدِ بْنِ زُرَّارَةَ ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّهَا أَيْضًا .

(٢) لَقِيْطِ بْنِ زُرَّارَةَ : لَقِيْطِ بْنِ زُرَّارَةَ بْنِ عَدَسِ الدَّارِمِيِّ التَّمِيْمِيِّ فَارِسٍ
وَشَاعِرٍ عَرَبِيٍّ كَانَ يُكْنَى أَبُو دَخْنُتُوسٍ فِي السَّلْمِ وَأَبَا نَهْشَلٍ فِي الْحَرْبِ

عُمَيْرُ بنِ مَعْبَدِ بنِ زُرَّارَةَ ، وكان شَابًا ، غيرَ أَنه كان فقيرًا
ليس لديه مالٌ . فمرت بدختوس ذات يومٍ إبلُ عمرو ، وكانت
هي في شدةٍ واحتياجٍ ، فقالت لفتاةٍ أو امرأةٍ عندها :

قولي له أن يَشَقِنَا من اللبنِ ، فذهبت إلى عمرو وقالت
له ذلك ، فقال : قولي لها : (الصيفِ ضَيَّعتِ اللبنِ) ، فلما
بَلَغها قولُ عمرو ضربت على كتفِ زوجها وقالت : هذا ومَدَقَّةُ
خيرٍ ، وذكرت كلمة (الصيفِ) في المثل لأنها سألته الطلاق
في الصيفِ ، فكأنها يومئذِ ضَيَّعتِ اللبنِ ، وهذا ما ذكره
الحريري في كتابه (درة الغواص) .

وفي حكايةٍ أخرى عن أبي عُبَيْدِ مَعْمَرِ بنِ المُنْتَى^(١) ،
أن دختوس بنت لقيط كانت تحت عمرو بن عمرو بن عَدُسٍ
وكان شيخًا أبرصًا ، فوضع رأسه يومًا في حجرها ، وأغفى
فسال لعابُه، فانتبه من نومه ووجدها تتأفف ، فقال لها :

(١) أبو عبد الله معمر بن المثنى التميمي : أديب لغوي مولى بني تميم
من قریش ، ولد في البصرة (١١٠ هـ) وتوفي (٢٠٩ م) .

أَيَسْرِكُ أَنْ أَفَارِقَكَ؟ قالت: نعم، ففارقها. ثم تزوجت شاباً
وسيماً من بني زُرارة، واتفق أن بكر بن وائل أغارت على بني
دارم، فسبوا دَخْتَوْس، وقتلوا زوجها، فلحق بهم عمرو بن
عمرو زوجها السابق، فقتل ثلاثة منهم واستخلص دَخْتَوْس
وبعث بها إلى أهلها، فتزوجت برجل ثالث.

وفي سنة من السنين أجذب قومها، فبعثت دَخْتَوْس
إلى عمرو زوجها الأول تطلب منه حلوبة، فقال: الصيف
ضيّعت اللبن، فذهب قوله هذا مثلاً، وقالت هذا ومدفأة
خير.

وقال أبو عبيدة في معنى المثل: إنَّ سؤَالَكَ إِيَّاي
الطلاق قد كان في الصيف، وحينئذ أنت ضيَّعتِ اللبن
بالطلاق.

وقال بعضهم إنَّ المعنى أن الرجل إذا لم يُطْرَقِ ماشيته
ضيّع ألبانها (أطرق الماشية معناه استعار فحلاً لكي تحمل
منه الماشية).

وقال ابن دُرُسْتُوِيَه : تقول العامة : في الصيف ضَيِّحَتِ اللبِن وَضَيِّحَ بمعنى خلط بالماء حتى يَرِقَّ ، وذكر أبو سليمان الخطابي^(١) أن هذا المثل يُروى : الصيف ضَيِّحَتِ اللبِن (بالحاء بدل العين) أي مَذَقَتِ اللبِن بخلطه بالماء .
ويقول الحريري : إنّه يجوز أن يُقال المثل : الصيفَ ضَيِّعَتِ اللبِن (بفتح التاء) أيضاً نقلاً عن ابن الأنباري في (الزاهر) .

وكلمة (الصيف) منصوبة على الظرفية و (عُدُس) اسمٌ ليس في الأسماء على شاكلته ، أمّا الاسم المعروف فهو (عُدَس) و (عُدُس) ، ومثل هذا الاسم (سُلْمَى) فجميع الأسماء (سُلْمَى) إلّا (سُلْمَى) في زهير بن أبي سُلْمَى وجميع مَنْ في

(١) أبو سليمان الخطابي الشافعي : محدث وفقه وعالم مسلم من كبار أئمة الشافعية ضمن الدولة العباسية، ولد في مدينة (بست) وارتحل وطلب العلم والحديث، توفي في أفغانستان (٣٨٨هـ) .

العرب (فُرَافِصَة) (بالضم) إِلَّا فَرَايِضَة (بالفتح) وهو أبو نائلة
امرأة عثمان بن عفان (E).

ويستعمل هذا المثل للدلالة على التسرع باتخاذ القرار
والتخلي عن النعمة ثم البحث عنها بعد فوات الأوان .

وبالمعنى نفسه يضرب هذا المثل : (لمن يضيع عن
نفسه فرصة ما، ثم يبحث عنه بعد فوات الأوان).

اليوم خمراً وغداً أمر

قائل هذا المثل الشاعر امرؤ القيس ، إذ إنّه كان
مخاصماً لأبيه الملك حجر الكندي^(١)، فلما بلغه خبر مقتل
والده - وكان آنذاك لاهياً ، مخموراً أكثر وقته - قال:
ضيعني صغيراً ، وحمّلتني دمه كبيراً ، لا صحو اليوم
ولا شرب غداً ، (اليوم خمراً وغداً أمرُ) ، فصارت مقولته
مضرباً للمثل .

(١) الملك حجر الكندي : حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر الكندي
آكل المرارة ، ملك وسيد كندة في عصره من ملوك كهلان (٣٨٠-
٤٥٠م).

بلغ السيلُ الزُّبى

الزُّبى : جمع كلمة زُبْيَة ، وهي الحفرة التي تحفر للأسد إذا أرادوا صيده وأصلها أيضًا الرابية التي لا يعلوها الماء ، فإذا بلغها السيل ، كان السيلُ جارِقًا جاحقًا .

والمثل بهذا المعنى يُضْرَبُ للأمر إذا تفاقم وجاوز الحد، وهنا حكاية يَحْسُنُ إيرادها بمناسبة الكلام على الزُّبْيَة أو الحفرة لصيد الأسد .

فقد ذكروا أنَّ مُعَاذَ بنِ جَبَلٍ^(١) قد أتى بثلاثة نفرٍ أو أشخاص قتلهم الأسد في زبية ، وطُلبَ إليه أن يُفتي كيف تكون الدية .

(١) معاذ بن جبل : صحابي وفقهه وقارئ القرآن ، وراوٍ للحديث النبوي من الأنصار من بني أدى من بني جشم بن الخزرج ، اسلم وهو ابن ١٨ سنة ، وشهد بيعة العقبة الثانية (ت ١٨هـ) (٦٠٥-٦٣٩م) ، ولُقِّبَ بإمام الفقهاء، وكنز العلماء .

فلم يَدْرِ كيف يُفتى ، فجاء إلى عليّ بن أبي طالب
(كرم الله وجهه) وكان مُحْتَبِيًّا في فناء الكعبة ، فقال : قُضوا
عليّ الخبر ، فقالوا صِدْنَا أسدًا في زُبِيَّة ، فاجتمعنا عليه ،
وحاء الناس وتدافعوا على الزُبِيَّة لرؤية الأسد فَرَمُوا برجل فيها ،
فتعلق الرجل بآخر وتعلق الآخر بثالث فَهَوُوا جميعًا في الزُبِيَّة
على الأسد ، فقتلهم .

فقضى عليّ بالقضية وقال: للأول ربع دية ، وللثاني
نصف دية ، وللثالث دية كاملة ، فأخبر النبي (ﷺ) بهذه الفتوى
فأقرها ... أما قائل : (بلغ السيل الزبى) فلم يكن معروفًا .

ومن الأمثال في هذا المعنى :

١- بلغت الدماءُ الثَّنن ، والثَّنن جمع ثُنَّة وهي الشعرات التي

في مؤخَّر رسغ الدابة .

٢- بلغ السكينُ العَظْم .

٣- بلغ منه المخنَّق ، والمخنَّق هو الحنجرة أو الحلق .

كذلك يُروى عن هذا المثل : أن رجلاً صائداً للأسود
حفر زُبِيَّة عميقة على رابية ، وهي المكان المرتفع من الأرض
ثم غطاها بأعواد وأغصان ، ومن ثم نثر عليها رملاً حتى
يخدع طريدته ، ثم وضع عليه طعاماً ليجذب إليه الأسد فإن
طلبه وقع في تلك الزُبِيَّة ، فسهل عليه اصطياده وهو في
مأمن منه ، إلا أنه في ذلك اليوم انفتحت أبواب السماء ،
فأمطرت مطراً غزيراً ، فسالت السيول حتى وصلت إلى تلك
الرابية فغمرت مياهها زُبِيَّته ، فأعقت عليه صيده ، ومنعت
عنه طريدته ، وأسقط في يده ، فقال تلك القولة المشهورة لتي
ذهبت مثلاً حتى يومنا هذا : (بلغ السيل الزبى) .

والمثل هو من الأمثال القديمة ، التي تُقال في الأوقات
التي تصل فيها الأمور إلى حد لا يمكن السكوت عليه ، فينفد
حينها الصبر ؛ لأنه قد كان من غير المتصور أو المتوقع أن
تصل الأمور إلى ذلك الحد ، فإذا حدث ووصلت إلى ذلك

الحد ففي هذه الحالة تكون قد فاقت التوقعات والحسابات ، فلا
يحتمل الصبر حينها، ولا يمكن السكوت عليها.

تَسْمَعُ بِالْمُعِيدِيِّ لَا أَنْ تَرَاهُ

المُعِيدِيُّ : تصغير مَعْدِيٍّ ، والدَّالُّ يُخَفَّفُ وَيُنْقَلُ فِي هَذَا الْمَثَلِ ، وَالْأَصْلُ التَّنْقِيلُ .

وإِنَّ أَصْلَهُ : هُوَ : أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ يُقَالُ لَهُ صَمْرَةٌ^(١) كَانَ يُغَيِّرُ عَلَى مَسَالِحِ (الثَّغُورِ جَمْعُ مَسْلِحَةٍ) عَلَى النِّعْمَانَ بْنِ الْمَنْذَرِ ، حَتَّى عِيلَ صَبْرُ النِّعْمَانَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ : أَنَّ أُدْخِلَ فِي طَاعَتِي ، وَلَكَ مِئَةٌ مِنَ الْإِبِلِ ، فَاقْبَلْهَا وَأْتَاهُ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ أَزْدَرَاهُ ، وَكَانَ صَمْرَةٌ دَمِيمًا فَقَالَ : (تَسْمَعُ بِالْمُعِيدِيِّ لَا أَنْ تَرَاهُ) فَقَالَ صَمْرَةٌ : مَهَلًا أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّ الرِّجَالَ لَا

(١) صَمْرَةٌ : هُوَ صَمْرَةُ بْنُ جَابِرِ بْنِ قَطَنِ بْنِ نَهْشَلٍ ، سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِ بَنِي نَهْشَلِ بْنِ دَارِمٍ ، كَانَ يُغَيِّرُ عَلَى مَسَالِحِ (جَمْعُ مَسْلِحَةٍ) وَهِيَ الْحَامِيَةُ الْعَسْكَرِيَّةُ لِلْمَنَاذِرَةِ ، وَكَانَ أحيانًا يَنْقُضُ عَلَى أَطْرَافِ مَمْلَكَةِ الْمَنَاذِرَةِ وَيَنْهَبُ مِنْهَا مَا يَنْهَبُ . (٦٠ ق . م / ٥٦٣ م) . (١٥ ق م / ٦٠٨ م) .

يُكَالُونِ يَا صِيعَانَ ، وَإِنَّمَا الْمَرْءُ بِأَصْغَرِيَّةِ قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ إِنَّ قَاتِلَ
قَاتِلَ بَجْنَانَ ، وَإِنْ نَطَقَ نَطَقَ بَبِيَانَ ، قَالَ صَدَقْتَ لِلَّهِ دَرْكٌ ،
هَلْ لَكَ عِلْمٌ بِالْأُمُورِ وَوَلُوجُ فِيهَا ؟ قَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي لِأَبْرُمُ مِنْهَا
الْمَسْحُولِ ، وَأَنْفُضُ مِنْهَا الْمَفْتُولِ ، وَأُجْلِيهَا حَتَّى تَجُولِ ، ثُمَّ
أَنْظُرُ إِلَى مَا تَقُولُ ، وَلَيْسَ لِلْأُمُورِ بِصَاحِبٍ مَنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي
الْعَوَاقِبِ .

قَالَ : صَدَقْتَ لِلَّهِ دَرْكٌ ! فَأَخْبَرَنِي مَا الْعَجْزُ الطَّاهِرُ ،
وَالْفَقْرُ الْحَاضِرُ وَالِدَاءُ الْعِيَاءُ ، وَالسَّوَاءُ السَّوَاءُ ؟ قَالَ ضَمْرَةٌ :
أَمَّا الْعَجْزُ الطَّاهِرُ فَهُوَ الشَّابُّ قَلِيلُ الْحِيلَةِ ، اللَّزُومُ لِلْحَالِيَةِ
الَّذِي يَحُومُ حَوْلَهَا ، وَيَسْمَعُ قَوْلَهَا ؛ إِنْ غَضِبَتْ تَرْضَّاهَا ، وَإِنْ
رَضِيَتْ تَفْدَّاهَا ، وَأَمَّا الْفَقْرُ الْحَاضِرُ ، فَالْمَرْءُ لَا تَشْبَعُ نَفْسُهُ ،
وَإِنْ كَانَ مِنْ ذَهَبٍ خَلِسُهُ ، وَأَمَّا الدَّاءُ الْعِيَاءُ فَجَارُ السَّوَةِ .

إِنْ كَانَ فَوْقَكَ قَهْرُكَ ، وَإِنْ كَانَ دُونَكَ هَمْرُكَ ، وَإِنْ
أَعْطَيْتَهُ كَفْرَكَ ، وَأَنْ مَنَعْتَهُ شَتْمَكَ ، فَإِنْ كَانَ ذَاكَ جَارَكَ فَأَخْلِ

له دَارَكَ وَعَجَّلَ مِنْهُ فِرَارَكَ ، وَإِلَّا فَأَقِمَّ بُذَلَ وَصَغَارَ ، وَكُن
ككَلْبِ هَرَّارٍ .

وَأَمَّا السَّوَاءُ السَّوَاءِ فَالْحَلِيلَةُ الصَّخَابَةُ ، الْخَفِيفَةُ الْوَثَابَةُ ،
السَّلَاطَةُ السَّبَابَةُ الَّتِي تَعَجَبُ مِنْ غَيْرِ عَجَبٍ ، وَتَغْضِبُ مِنْ
غَيْرِ غَضَبِ الظَّاهِرِ عَيْبُهَا ، الْمَخُوفُ غَيْبُهَا ، فَزَوْجُهَا لَا
تَصْلُحُ لَهُ حَالٌ ، وَلَا يَنْعَمُ لَهُ بِأَلٍ إِنْ كَانَ غَنِيًّا لَمْ يَنْفَعَهُ غِنَاهُ ،
وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا أَبَدَتْ لَهُ قِلَاهُ ، فَأَرَاخَ اللَّهِ مِنْهَا بَعْلُهَا ، وَلَا مَتَّعَ
بِهَا أَهْلَهَا ، فَأَعْجَبَ النِّعْمَانَ حُسْنَ كَلَامِهِ ، وَحَضُورَ جَوَابِهِ ،
فَأَحْسَنَ جَائِزَتَهُ وَاحْتَسَبَهُ قَبْلَهُ .

جاء يكحلها عماها

يُروى إنَّ كلبًا كان قد نشأ في قصر أحد الأثرياء ،
وكانت معه في القصر قطة جميلة ، فنشأت بينه وبينها ألفة
ومودة وصداقة ومحبة ، فنظر الكلب يومًا إلى القطة ، فرأى
عينيها ، وما هما عليه من الكحل والحسن والجمال ، فسألها
أرى عينيك جميلتين ، فما سرّ جمالها؟ .

فقالت القطة : لوجود هذا الكحل فيهما ، فقال الكلب
ومن كحلها؟ .

فقالت له لا أدري إنهما هكذا منذ خلقت ، فأصابت
الكلب غيرة شديدة ، وقرر أن يكحل عينيه ببعض الكحل حتى
تكون جميلتين كعيني القطة ، فأحضر شيئًا من الكحل ،
ووضعه على أصبعه ، وأدخله في عينيه ليكحلها ، فدخل
مخاب أصبعه في عينه ففقأها ، فَتَلَفَّتْ عينه ، وذهب بصرها.

ذاع ذلك الخبر بين الناس ، فقالوا فيه هذا المثل وعجبوا من
سخف عمله وغفلته على الرغم من ذكائه ومهارته .

جزاؤه جزاء سنمار

سنمار : بَنَاءٌ مجيدٌ من بلاد الروم ، استدعاه النعمان الأول ابن امرئ القيس ملك الحيرة كي يبني له قصرًا (الخورنق) بظهر الكوفة ، فحضر سنمار مع بَنَائِهِ ، وبعد تفكير طويل وجد رسمًا جميلًا للبناء ، فبنى القصر على مرتفع قريب من الحيرة، حيث تحيط به البساتين والرياض الخضراء وكانت المياه تجري من الناحية العليا من النهر على شكل دائرة حول أرض القصر ، وتعود إلى النهر من الناحية المنخفضة .

وبعد ان تم البناء على أجمل ما يكون سعد النعمان وحاشيته ومعهم سنمار إلى سطح القصر ، فشاهد الملك المناظر الخلابة وأعجبه البناء ، فقال : (ما رأيت مثل هذا البناء قط) ، فأجاب سنمار (لكنني أعلم موضع آجرّة لو زالت لسقط القصر كله ، فسأله الملك : (أيعرفها أحد غيرك؟) ،

فقال سنمار : (لو عرفت أنكم توفونني وتصنعون بي ما أنا أهله لبنيت بناء يدور مع الشمس حيثما دارت) . فاستقر في نفس الملك أنه لا يجوز أن يظل حياً من يعرف موضع هذه الآجرة ومن يستطيع أن يبني أفضل من هذا القصر ، ثم أمر بقذف سنمار من أعلى (الخورنق) فانكسرت عنقه ومات .

فاتخذت العرب مما صنعه النعمان بسنمار مثلاً بين الناس ، يُقال :

(جزاؤه جزاء سنمار) ، وهو مثل يُعطى عندما يقوم شخص بعمل جيد ولكن يقابله إساءة .

أو : لمن يُجزى بالإحسان الإساءة .

وفي هذا يقول الشاعر :

جَزَتْنا بَنُو سَعْدٍ لِحُسْنِ فِعالِنِا

جَزاءَ سِنِمارٍ وما كان ذا ذَنْبٍ

وقال آخر

جَزَانِي جَزَاهُ اللَّهُ شَرَّ جَزَائِهِ

جَزَاءَ سِنِمَّارٍ بَمَا كَانَ قَدَمًا

وفي هذا يقول أبو النضر محمد بن السائب الكوفي^(١)

(كما في ابن خلكان) أو عبد العزى بن امرئ القيس (كما في

آمالي القالي)، أو البُرَيْق كما في معجم الشعراء :

جَزَانِي جَزَاهُ اللَّهُ شَرَّ جَزَائِهِ جَزَاءَ سِنِمَارٍ وَمَا كَانَ ذَا ذَنْبِ
سَوَى رَضِيهِ الْبُنْيَانِ سَتِينَ حِجَّةً يَغْلُّ عَلَيْهِ بِالْقَرَامِيدِ وَالسَّكْبِ
فَلَمَا رَأَى الْبُنْيَانَ تَمَّ شُهُوقُهُ وَأَصَّ كَمَثَلِ الطَّوْدِ وَالشَّامِخِ الصَّغْبِ
وظَنَّ سِنِمَّارًا بِهِ كُلَّ حَبْوَةٍ وَفَازَ لَدَيْهِ بِالْمَوَدَّةِ وَالْمُقْرَبِ
فَقَالَ اقْدِفُوا بِالْعِلْجِ مِنْ فَوْقِ رَأْسِهِ فَهَذَا لَعَمْرُ اللَّهِ مِنْ أَعْجَبِ الْخَطْبِ

(١) أبو النضر محمد بن السائب الكوفي : وهو من أصحاب أبي

جعفر الباقر وأبي عبد الله الصادق (X) ، والمتوفي عام (١٤٦هـ) ،

وهو والد هشام الكلبي النسابة الشهير وصاحب التفسير الكبير الذي

هو أبسط التفسير كما اذعن به السيوطي في الإتيان .

والناس يقولون في هذا المعنى :

جازاه مجازاة التَّمساح ، ويحكون أَنَّ التَّمساحَ يأكل اللحم
فَيَدْخُلُ في خلال أسنانه فيفتح فاهُ فيجيء طائر فيسقطُ عليها،
فيخَلُّها ويأكلُ اللَّحْمَ ، فيكون طعامًا للطائر ، وراحةً للتَّمساح ،
فربُّما ضمَّ التَّمساحُ فاه على الطائر فيقتلهُ.

وروي في خرافةً فتركَّتها (وأعجبُ من هذا الطائر طائرٌ
يطير في البحر ، ويتَّبَعُهُ طائرٌ صغير ، لا يفارقه حيثُ
ذهب، فإذا أضجَره ذَرَقَ فلا يُخْطئُ فمه ، فيبتلعه وينصرف
ويتركه) .

جَوْعُ كَلْبِكَ يَتَّبِعُكَ

أَوَّلُ مَنْ قَالَ هَذَا الْمِثْلَ مَلِكٌ مِنْ مَلُوكِ حِمْيَرَ، وَهِيَ قَاعِدَةٌ سِيَاسِيَّةٌ بَحْتَةٌ، تَتَّبَعُهَا غَيْرُهُ مِنَ الْمُلُوكِ، إِذْ كَانَ الْمَلِكُ الْحَمِيرِيُّ عَنيفًا عَلَى أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ظَالِمًا، يَسْلُبُ النَّاسَ أَرْزَاقَهُمْ وَيَجْعَلُهُمْ بِالْكَادِ يَأْكُلُونَ، وَكَانَتِ الْكَهَنَةُ تُخْبِرُهُ أَنَّهُمْ سَيَقْتُلُونَهُ، وَلَمْ يَحْفَلْ بِالنَّصْحِ الَّذِي يَأْتِيهِ مِنْ مُسْتَشَارِيهِ - أَيْضًا -، فَلَمَّا جَاءَتْهُ زَوْجَتُهُ وَقَدْ رَقَّ قَلْبُهَا لِحَالِ النَّاسِ أَوْ خَافَتْ مِنْهُمْ فَقَالَتْ لَهُ: إِنِّي لِأَرْحَمُ هَؤُلَاءِ لَمَّا يَلْقَوْنَ مِنَ الْجَهْدِ وَنَحْنُ فِي الْعَيْشِ الرَّغِيدِ، وَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكُونُوا أَشْيَاعًا، وَقَدْ كَانُوا أَتْبَاعًا، فَأَجَابَهَا الْمَلِكُ:

[جَوْعُ كَلْبِكَ يَتَّبِعُكَ]

إِذْ ذَهَبَ مِثْلًا .

وَيُضْرَبُ هَذَا الْمِثْلُ فِي مَعَاشِرَةِ اللَّئَامِ، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَعَامِلُوا بِهِ.

حَرَامًا يَرْكَبُ مِنْ لَا حَلَالَ لَهُ

أَوْ (حَرَامُهُ...)

يحكى أن جُبَيْلَةَ بن عبد الله أغار على إبل يملكها جُرَيْبَةَ ابن أوس بن عامر يوم مَسْلُوق ، وكان من بين الإبل ناقة مما يحرم عرب الجاهلية ركوبها ، فتركها المغيرون ولم يأخذوها فيما أخذوه، وكان راعي الإبل هو ابن أخت صاحبها ، فركض إلى خاله يخبره بالأمر ، فقال له :
رَدَّ عَلَيَّ تِلْكَ النَّاقَةَ أَرْكَبُهَا .

فأجابه الراعي : يا خال إنها حرام !

فقال جرية : حرامًا يركب من لا حلال له .

ذهبت مثلاً ، إذ يستعمل هذا المثل عندما يكون الإنسان مضطراً لفعل شيء ما لعدم وجود خيار آخر ، كأن يسرق ليأكل فيقول : (حرامًا يأكل من لا حلال له).

خُذِ الْحِكْمَةَ مِنْ أَفْوَاهِ الْمَجَانِينِ

توفي أحد الأثرياء في بلد بعيد عن بلده ووصل خبر وفاته إلى أولاده وحدد ولده الكبير يوماً للعزاء ، ولكن أخوته طالبوا بالميراث ، فقال انتظروا حتى تنتهي من مراسيم العزاء ، فرفضوا ، وقالوا بل نقسم التركة اليوم ، قال : ماذا تقول الناس علينا لم نصبر ؟ فرفض مطالبهم فذهبوا إلى المحكمة ، وأقاموا دعوة عليه ، وأرسل له طلب القاضي للحضور ماذا يفعل ؟

ذهب إلى أحد عقلاء البلد يستشيريه ، وكان صاحب رأي سليم ، فسرده عليه القصة ، وقال : انظر ، لي مخرج ، قال له الحكيم ، اذهب إلى فلان سوف يفتيك ويعطيك الحل ، قال له: إن فلاناً مجنون كيف يحل مشكلة عجز في حلها العقلاء!؟

قال : اذهب إليه لن يُفتيك غيره ، فذهب إليه وسرده عليه القصة وبعد الانتهاء من كلامه ، قال له المجنون : قل

لأخوتك هل عندكم من يشهد بأن أبي قد مات ، قال : (خذوا
الحكمة من أفواه المجانين) .

كيف لم أفكر في هذا ، وذهب إلى المحكمة، وقال
للقاضي ما قال له المجنون ، قال القاضي : إنك محق هل
عندكم شهود ؟ قالوا أبينا توفي في بلد بعيد وجاءنا الخبر ولا
يوجد شاهد على ذلك .

قال لهم القاضي : أتوا بالشهود ..

وظلت القضية معلقة إلى سنة ونصف !!

رُبَّ أَخٍ لَكَ لَمْ تَلِدْهُ أُمُّكَ

وأصل هذا المثل في إعانة الرجل صاحبه ، وانصابه في هواه ، وانخراطه في سلكه ، حتى كأنه أخوه لأبيه وأمه ، ويقولون : إنَّ أخاك من آساک ، وقيل الرجل : ممَّن أنت ؟ قال : ممَّن برّني ، وهو على حسب قول الأعشى :

فإنَّ القريبَ من يُقربُ نفسه لعمُرُ أبيكَ الخَيْرُ لا منْ تنسبَا

وقال أبي بن حُمام بن جابر :

أعاذلتني كم من أخٍ لي أودُّه كريمٍ عليّ لم يلدني والدُّه
إذا ما التقينا لم ترّني ألدُّه ولكنني مثنٍ عليه وزائدُّه
وآخر أصلي في التناصب أصلُّه يُباعدني في رأيه وأباعده
يودُّ لو أنّي كنتُ أولَ فاقِدٍ وأيضا أودُّ الودَّ أنّي فاقِدُه

ويعني به الصديق ؛ فإنه ربما أربى في الشفقة على الأخ
من الأب والأم .

رَبِّ أَكَلَةٍ تَمْنَعُ أَكَلَاتٍ

أَوَّلُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ عَامِرُ بْنُ الظَّرْبِ العَدَوَانِيُّ^(١)، وَكَانَ مِنْ حَدِيثِهِ أَنَّهُ كَانَ يَدْفَعُ بِالنَّاسِ فِي الْحَجِّ ، فَرَأَاهُ مَلِكٌ مِنْ مَلُوكِ غَسَّانَ ، فَقَالَ لَا أَتْرِكُ هَذَا العَدَوَانِيَّ أَوْ أَذِلَّهُ ، فَلَمَّا رَجَعَ الْمَلِكُ إِلَى مَنْزِلِهِ أَرْسَلَ إِلَيْهِ : أَحِبُّ أَنْ تَزُورَنِي فَأُخْبِرَكَ وَأُكْرِمَكَ وَاتَّخِذْكَ خَلًّا ، فَأَتَاهُ قَوْمُهُ فَقَالُوا :

نَعْدُ وَيَعِدُ قَوْمُكَ إِلَيْهِ ، فَيَصِيبُونَ فِي جَنْبِكَ وَيَتَجَيَّهُونَ بِجَاهِكَ فَخَرَجَ وَأَخْرَجَ مَعَهُ نَفَرًا مِنْ قَوْمِهِ ، فَلَمَّا قَدِمَ بِلَادَ الْمَلِكِ أَكْرَمَهُ وَأَكْرَمَ قَوْمَهُ ، ثُمَّ انْكَشَفَ لَهُ رَأْيُ الْمَلِكِ فَجَمَعَ أَصْحَابَهُ فَقَالَ : (الرَّأْيُ نَائِمٌ وَالْهَوَى يَغْتَابُ) ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ يَغْلِبُ

(١) عَامِرُ بْنُ الظَّرْبِ العَدَوَانِيُّ ، قَاضٍ مِنْ قِضَاةِ الطَّائِفِ مِنْ حَنْفَاءِ الْعَرَبِ وَأَتَمَّتْهُمْ الَّذِينَ تَحَاكَمَ إِلَيْهِمُ النَّاسُ وَصَارَتْ أَحْكَامُهُمْ قَانُونًا يَحْتَكِمُونَ إِلَيْهِ ، وَأَحَدُ حُكَمَاءِ الْحِجَازِ وَأَشْرَافِهِمْ ، يَنْتَمِي إِلَى قَبِيلَةِ عَدَوَانَ الْمَعْدِيَةِ العَدْنَانِيَّةِ الْحِجَازِيَّةِ (٣٧٠م-٤٥٥م).

الهُوَى الرَّأْيِ، عَجَلْتُ حِينَ عَجَلْتُمْ ، وَلَنْ أَعُودَ بَعْدَهَا ، إِنْ قَدْ
تَوَرَّدْنَا بِلَادِ هَذَا الْمَلِكِ ، فَلَا تَسْبِقُونِي بِرَيْثِ أَمْرِ أُقِيمُ عَلَيْهِ وَلَا
بِعَجَلَةٍ رَأَيْ أَحْفُ مَعَهُ ، فَإِنَّ رَأْيِي لَكُمْ ، فَقَالَ قَوْمُهُ لَهُ : قَدْ
أَكْرَمْنَا كَمَا تَرَى ، وَبَعْدَ هَذَا مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ .

قال : لَا تَعْجَلُوا فَإِنَّ لِكُلِّ عَامٍ طَعَامًا ، وَرُبَّ أَكْلَةٍ تَمْنَعُ
أَكْلَاتٍ ، فَمَكثُوا أَيَّامًا ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِ الْمَلِكُ فَتَحَدَّثَ عِنْدَهُ ، ثُمَّ
قَالَ لَهُ : الْمَلِكُ قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَجْعَلَكَ النَّاطِرَ فِي أُمُورِي ، فَقَالَ
لَهُ : إِنَّ لِي كَنْزَ عِلْمٍ لَسْتُ أَعْلَمُ إِلَّا بِهِ ، تَرَكْتُهُ فِي الْحَيِّ
مَدْفُونًا ، وَإِنَّ قَوْمِي أَضْنَاءَ بِي ، فَارْتَبْتُ لِي سَجَلًا بِجَبَايَةِ
الطَّرِيقِ فَيَرَى قَوْمِي طَمَعًا وَتَطْيِبُ بِهِ أَنْفُسَهُمْ ، فَاسْتَخْرَجَ كَنْزِي
وَأَرْجَعُ إِلَيْكَ وَافِرًا ، فَكَتَبَ لَهُ بِمَا سَأَلَ ، وَجَاءَ إِلَى أَصْحَابِهِ
فَقَالَ :

أُرْتَحِلُوا ، حَتَّى إِذَا أَدْبَرُوا قَالُوا : لَمْ يُرْ كَالْيَوْمِ وَافِدُ قَوْمِ
أَقَلِّ وَلَا أَبْعَدُ مِنْ نَوَالٍ مِنْكَ ، فَقَالَ : مَهْلًا ، فَلَيْسَ عَلَى الرَّزْقِ

فَوْتٌ ، وَغَنَمٌ مِّنْ نَّجَا مِنَ الْمَوْتِ ، وَمَنْ لَمْ يُرَ بِاطْنًا يَعِشْ وَاهِنًا
فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى قَوْمِهِ أَقَامَ فَلَمْ يَعُدْ .

يُضْرَبُ مِثْلًا لِلْحَصَلَةِ مِنَ الْخَيْرِ تُنَالُ عَلَى غَيْرِ وَجْهِ
الصَّوَابِ ، فَتَكُونُ سَبَبًا لِمَنْعِ أَمْثَالِهَا .

وَيُضْرَبُ - أَيْضًا - فِي ذِمِّ الْحَرِصِ عَلَى الطَّعَامِ .

رُبَّ رَمِيَةٍ مِنْ غَيْرِ رَامٍ

وهذا مثل معروف ، يقال إِنَّ الْحَكَمَ بن عبد يَغُوثِ
الْمِنْقَرِيِّ^(١) كَانَ رَمَاهُ أَوْ أَرْمَى أَهْلَ زَمَانِهِ ، وَحَلَفَ يَوْمًا أَنْ يَذْبَحَ
مِهَابَةَ (البقر الوحشي) بَعْدَ أَنْ يَقْتُلَهَا رَمِيًّا بِسَهْمِهِ فَخَرَجَ ، وَلَكِنَّهُ
لَمْ يُؤَفِّقْ طَوِيلَ يَوْمِهِ ، فَعَادَ كَاشَفَ الْوَجْهَ كَثِيبًا ، وَبَاتَ لَيْلَتَهُ
عَلَى ذَلِكَ ، فَلَمَّا كَانَ فِي الصَّبَاحِ خَرَجَ إِلَى قَوْمِهِ وَقَالَ : إِنْ لَمْ
أَذْبَحْهَا الْيَوْمَ فَإِنِّي قَاتِلٌ نَفْسِي . فَقَالَ لَهُ أَخُوهُ الْحُصَيْنُ : يَا
أَخِي اذْبَحْ مَكَانَهَا عَشْرًا مِنَ الْإِبِلِ ، وَلَا تَقْتُلْ نَفْسَكَ . فَقَالَ :
كَلَّا! لَا أَظْلُمُ عَاقِرَةً وَاتْرُكُ نَافِرَةً . فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ وَاسْمُهُ الْمُطْعَمُ ،
يَا أَبِي احْمَلْنِي مَعَكَ أَرْفِدُكَ ، فَقَالَ ، وَمَا أَحْمِلُ مِنْ رَعِشٍ وَهَلِ
جَبَانٍ فَشَلٍ ! فَضَحَ الْغَلَامُ وَقَالَ إِنَّ لَمْ تَرَ أَفْلَاذَها تُخَالِطُ
أَمْشَاجَها فَاجْعَلْنِي وَدَاجِها ، فَاَنْطَلَقَا ، وَإِذَا هُمَا بِمِهَابَةٍ ، فَرَمَاهَا

(١) كَانَ أَرْمَى أَهْلَ زَمَانِهِ (فِي عَصْرِ مَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ) وَهُوَ مِنْ بَنِي

مَنْقَرٍ .

الحكم فأخطأها ، ثم مرت به أخرى ، فرماها فأخطأها ، فقال ابنه المطعمُ : يا أبي أحمد بحمدك ، فإنَّ سَهْمِي سَهْمُكَ اعطني القوس ! فأعطاه إِيَّاه ، فمرت به مهاةً فرماها فلم يُخطئها ، فقال أبوه : (رَبِّ رَمِيَةٍ مِنْ غَيْرِ رَامٍ) ، فصارت مثلاً يُضْرَبُ لِمَنْ يُصِيبُ وَهُوَ غَيْرُ رَامٍ ، أو لا يُحْسِنُ الرَّمَايَةَ .
أو يضرب - أيضًا - عندما يتفق الشيء لمن ليس من شأنه أن يصدر منه .

كذلك يُضْرَبُ لِلَّذِي يُخْطِئُ مَرَارًا وَيُصِيبُ مَرَّةً .

رَجَعَ بَخْفِي حُنَيْنٍ

أصله أَنَّ حُنَيْنًا كَانَ اسْكَافِيًّا ، مِنْ أَهْلِ الْحَيْرَةِ ، فَسَاوَمَهُ
أَعْرَابِيٌّ بِخَفَيْنٍ ، فَاخْتَلَفَا حَتَّى أَعْضَبَهُ ، فَأَرَادَ (حُنَيْنٍ) غَيْظَ
الْأَعْرَابِيِّ ، فَلَمَّا ارْتَحَلَ الْأَعْرَابِيُّ أَخَذَ (حُنَيْنٌ أَحَدَ) خُفَّيْهِ فَطَرَحَهُ
فِي الطَّرِيقِ ، ثُمَّ أَلْقَى الْآخَرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ ، فَلَمَّا مَرَّ
الْأَعْرَابِيُّ بِأَحَدِهِمَا قَالَ : مَا أَشْبَهَ هَذَا الْخَفَّ بِخَفِّ حُنَيْنٍ وَلَوْ
كَانَ مَعَهُ الْآخَرَ لِأَخَذْتَهُ ! وَمَضَى فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الْآخَرِ نَدِمَ
عَلَى تَرْكِهِ الْأَوَّلِ ، وَقَدْ كَمَنَّ لَهُ حُنَيْنٌ ، فَلَمَّا مَضَى الْأَعْرَابِيُّ
فِي طَلَبِ الْأَوَّلِ عَمَدَ حُنَيْنٌ إِلَى رَاحِلَتِهِ وَمَا عَلَيْهَا فَذَهَبَ بِهَا ،
فَأَقْبَلَ الْأَعْرَابِيَّ وَوَلَّيْسَ مَعَهُ إِلَّا الْخُفَّانِ ، فَقَالَ لَهُ قَوْمُهُ : مَاذَا
جِئْتَ بِهِ مِنْ سَفْرِكَ ؟ فَقَالَ : (جِئْتُكُمْ بِخُفِّي حُنَيْنٍ) فَذَهَبَتْ مِثْلًا .

وقال ابن السكيت^(١): حُنَيْنٌ كان رجلاً شديداً ادَّعى إلى
أسد بن هشام بن عبد مناف ، فأتى عبد المطلب وعليه خُفَّان
أحمران ، فقال : يا عمّ أنا ابنُ أسد بن هشام ، فقال عبد
المطلب : لا وثياب ابن هاشم ، ما أعرف شمائل هاشم فيك ،
فارجع ، فارجع ، فقالوا (رجع حُنَيْنٌ بخفيه) فصار مثلاً :
ويُضرب هذا المثل عند اليأس من الحاجة والرجوع
بالخيبة.

(١) ابن السكيت : إمام من أئمة اللّغة العربية ، وعالم نحوي وأديب
شهير ، اشتهر بتشيّعه ، يكنى بأبي يوسف يعقوب بن اسحاق بن
السكيت الدروقي الأهوازي البغدادي النحوي المؤدب ، مؤلف كتاب
(إصلاح المنطق) أخذ عن أبي عمرو الشيباني (١٨٦-
٢٤٤هـ/٨٠٢-٨٥٨م) ، ومن مؤلفاته : إصلاح المنطق ، كنز
الحفاظ في كتاب تهذيب الألفاظ ، كتاب تهذيب الألفاظ : أقدم معجم
في المعاني .

سَبَقَ السِّيفُ الْعَدْلَ

وأول من قال هذا المثل هو ضَبَّةُ بن أُدِّ الْمُضَرِّي (١) وكان له ابنان: سَعْدٌ وسُعَيْدٌ وحدث أن نَفَرَتْ إِبِلٌ لَضَبَّةَ فِي الليل فأرسل ابنيه في طلبهما ، فوجدَها سَعْدٌ فَرَدَّها؛ ولكن سَعِيدًا واصل الطَّلَبَ في طريقٍ أُخرى ، فلقىهِ الحارثُ بن كعب، وطلب منه بُرْدِيه ، فَرَقَضَ سَعِيدٌ أَنْ يُعْطِيَهُ إِيَّاهما ، فقتله وأخذَهما ، ثم حَجَّ ضَبَّةُ بن أُدِّ بعد ذلك بزمان ، وجاء

(١) ضَبَّةُ بن أُدِّ : جد جاهلي تنسب إليه قبيلة بني ضَبَّةَ العربية ، وقد ذكر ابن إسحاق الفاكهي أنّ ضَبَّةَ بن أُدِّ كان معاصرًا لنبي الله سليمان بن داود (A) وانه جعله واليًا على بلاد الحجاز واليمن . وذكر أبو الفضل الميداني : أن ضَبَّةَ بن أُدِّ ، هو أول من قال الأمثال المشهورة : (الحديث ذو شجون) و (سبق السيف العَدْل) و (أسعدٌ أم سعيّد) .

إلى عُكاظ فلقي فيها الحارث بن كعب^(١) ، ورأى عليه بُرْدَيَّ
ابنه سَعِيدَ فَعَرَفَهُمَا ، فقال له ضَبَّةٌ : هل أنت مُخْبِرِي ما هذان
البُردان ؛ فقد أعجبني مَنظرُهُما ، فقال الحارث : لقيتُ غلامًا
وهما عليه ، فسألتهُ إياهما ، فأبى عليّ ، فقتلتهُ وأخذتهما .
فَعَرَفَ ضَبَّةٌ أَنَّ الحارث هو الذي قتل ابنه .

فقال له : أبسيفك هذا قتلته ؟ قال : نعم ، فقال ضَبَّةٌ :

ألا تُريني إياه ، فإني أظنّه صارمًا .

فأعطاه إياه ، فلما أخذه منه هزّه ، وقال : إنَّ الحديثَ
نوحجون (فذهب قولًا مثلًا) ، ثم ضربه فقتله ، فقيل له : يا
ضَبَّةُ ! أتقتلُ في الشهر الحرام؟ فقال سبق السيفُ العَدْلَ
(فذهب قوله مثلًا) .

(١) الحارث بن كعب : بني الحارث بن كعب ، من قبائل منطقة نجران
التاريخية وأقام في جوارهم من بني نصر بن الأزدي وبني ذهل بن
فريقياء واقتسموا الرياسة ، فنجران معهم .

والمعنى هو : إنّ الأمر قد مضى وانقضى وسبق ، فما
الفائدة من اللوم.

وفي هذا المعنى يقول الطغرائي في لاميته :

إن كان يُنَجُّ شيءٌ في ثباتِهِمْ على العهود فسَبَقُ السيفِ لِلْعَدْلِ

ومعناه أنّه لا شيء يُفيد في ثباتهم على العهد والولاء ،

كاللوم بعد أن يكون السيفُ قد ضَرَبَ ضَرْبَتَهُ .

ويقول جرير :

يُكَلِّفُنِي رَدَّ الْغَرَائِبِ بَعْدَمَا سَبَقَنَ كَسْبِقِ السيفِ من قال عاذلُه

ويقول السَّراجُ الوَّرَاقُ :

قَلْتُ إِذْ جَرَّدَ لِحْظًا حَاذُهُ يُدْزِي الْأَجَلَ

يَا عَذُولِي كُفِّ عَنِّي سَبِقِ السيفِ الْعَدْلُ

وقال أبو الطيب :

تُرَابُهُ فِي كِلَابٍ كُحْلٍ أَعْيُنِهَا وسيفُهُ فِي جَنَابٍ يَسْبِقُ الْعَدْلَا

وكلاب : اسم قبيلته .

وجناب : اسم قبيلة العدو .

وقال ابن وكيع لو قال المتنبّي :

إِحْسَانُهُ فِي كِلَابٍ غَيْثٌ مُجْدِبِهَا وَسَيْفُهُ فِي جَنَابٍ يَسْبِقُ الْعَدْلَا

لَصَحَّ التَّقْسِيمُ إِذْ لَيْسَ التَّرَابُ ضَدَّ السَّيْفِ .

وقال ابن الحاجب^(١) :

وَحَاوَلْتُ بِالْعَدْلِ أَنْ تُرْشِدَنِي فَقُلْتُ مَهْلًا سَبَقَ السَّيْفُ الْعَدْلَ

وقال ابن نُبَاتَةَ السَّعْدِيِّ^(٢):

(١) ابن الحاجب : هو ابن الحاجب المصري كان بارعًا في العلوم الأصولية وتحقيق علم العربية ومذهب مالك، له تصانيف مفيدة منها (الجامع بين الأمهات) و (المختصر) و (الكافية) و (الشافية) في النحو والصرف، توفي سنة (٦٤٦هـ) .

(٢) ابن نباتة السعدي : هو الشاعر أبو نصر عبد العزيز السعدي التميمي ، ولد في بغداد (٤٠٥هـ) وبها نشأ ودرس اللغة العربية على أيدي علماء بغداد في عصره حتى نبغ ، وكان شاعرًا محسنًا مجيدًا ، جمع بين السبك وجودة المعنى وهو كذلك يُعدّ شاعرًا عباسيًا من

يا أهل بابل عَزَمِي قَبْلَهُ فِكْرِي في النائباتِ وسيُفي يَسْبِقُ العَدْلَا

ولهذا المثل حكاية أخرى ، وهي باختصار :

أَنَّ النُّعْمَانَ بن ثواب^(١) كان له بنون ثلاثة : سعد وسعيد وساعدة ، وكان ابنه سعد شجاعاً بطلاً من شياطين العرب ، وكان سعيد يشبه أباه في شرفه وسؤدده وكرمه ، أما ساعدة فكان صاحب شراب وندمان ، ثم تُوْفِي أبوهم ، وأراد سعيد أن يَحْدُوَ حَذُوَ أَبِيهِ في الكرم والجود ، فعمد إلى كبشٍ فذبحه ووضعهُ في ناحية من خبائه ، ثم دعا أحداً من ثقاته وقال له : إني قتلتُ فلاناً ، وهو الذي تراه في ناحية الخباء ولا بد من التعاون حتى ندفنه . فنفر منه هذا الصاحب وتركه وخرج ، فبعث إلى آخر من ثقاته وكَلَّمَهُ بنفس الكلام ، فغضب هذا أيضاً وخرج ، وهكذا حتى لم يبقَ من ثقاته أحد ،

شعراء القرن الرابع الهجري ، عربي الأصل لم يشك أحد في نسبه ، وقد أشاد بشاعريته عدد من نقاد عصره والعصور .

(١) النعمان بن ثواب : رجل من زعماء العرب كان ذا شرف وحكمة.

ثم بعث إلى رجل من إخوانه يقال له خُزيم بن نوفل^(١)، فلما جاءه قال له : إني قتلْتُ فلانًا وهو الذي تراه مُسجى ، وأريد أن تعينني حتى ندفنه . فانتخى خُزيم وواعد بالمعاونة ، وكان غلام لسعيد قائمًا بينهما ، فقال خُزيم: هل أطلع على هذا الأمر أحدٌ غير هذا الغلام ؟ فقال سعيد لا . ولم يُصدِّق خُزيم قوله ، وأخذ السيف وضرب الغلام فقتله ، وقال ليس عبدٌ بأخ لك ، فارتاع سعيد لقتل غلامه ، وأخذ يلوم خُزيمًا فقال له خُزيم : إنَّ أخاك منَ وِاساك ، وقال سعيد : إني أردتُ تجربتك ومعرفة صدق أخوتك لي ، ثم كشف له عن الكبش المذبوح ، وخبره بما لقي من الإعراض من إخوانه وثقاته الآخرين ، فقال خُزيم : سبق السيفُ العَدلَ .

(١) خُزيم بن نوفل : هو خُزيم بن نوفل الهمداني (همدان اليمن) ، وهو أول من قال هذا المثل ، وكان للنعمان بن ثواب العبدي بنون ثلاثة أسعد وسعيد وساعدة ، وكان أبوهم ذا شرف وحكمة وكان يوصي بنيه ويَحملهم على أدبه .

ونذكر - هنا- حكاية وردت في كتاب (المحاسن والأضداد) المنسوب إلى الجاحظ، وهي أن أول من قال (سبق السيفُ العَدْلُ) صَمُضَم بن عمرو اللخمي وكان يهوى امرأة فطلبها بكل حيلة ، فأبت عليه ؛ وطلبها عزيز بن عُبَيْد بن ضمضمة فأتته وتأتبت على ضمضم وكان ضمضم من أشدّ قومه بأسًا فاغتاظ لذلك وانطلق ليلة من الليالي وهو متقلّد سيفه حتى صار بمكان يراها إذا اجتمعا ولا يريانه ، فلما نام الناس وطال هدوء ضمضم إذا بالعزيز قد أقبل على فرسه ، وهو يقول:

أُمَامٌ تُوَاتِنِي وَتَأْبَى بِنَفْسِهَا عَلَى صَمُضَمٍ تَعْسًا وَرَغَمًا لِصَمُضَمٍ

وضمضم يسمع ، فنزل العزيز وربط فرسه وعمد إلى ناحية خبائها فصدح صدوح الهام وكان ذلك آية بينهما فخرجت إليه فعانقها وضمضم ينظر ثم خلا بها فلما رأها ضمضم على هذه الحال مشى إليهما بالسيف وهو يقول :

سَتَعْلَمُ أَنِّي لَسْتُ أَعَشَقُ مُبَغَضًا فَكأن بنا عنها وعنك عزاء

وهجم على العزيز فقتله ، فعلم القوم بما فعل ضمضم
فأخذوه وعرضوه للقتل وجعلوا يلومونه على قتل ابن عمه ،
فكان يقول :

سبق السيفُ العَدْلَ .

عادات حليلة الى عاداتها القديمة

وحليمة : هي زوج حاتم الطائي الذي ضربت به العرب
المثل في الكرم والسخاء ، لكنها كانت على النقيض منه ، إذ
كانت تشتهر بالإمساك والبخل ، ويُقال إنها كانت إذا أرادت
أن تضع إدامًا (سمناً في الطعام) ، ارتجفت الملعقة ولم
تطاوعها يدها ، فأراد حاتم أن يعلمها الكرم ، فزعم لها أنّ
الأقدمين ، كانوا يقولون إنّ المرأة كلما وضعت ملعقة من
السمن في طنجرة الطبخ زاد الله بعمرها يوماً ، فأخذت حليلة
تزيد ملاعق السمن في الطبخ ، حتى صار طعامها طيبًا ،
وتعودت يدها على السخاء .

ثم مات ابنها الوحيد الذي كانت تحبه أكثر من نفسها ،
فجزعت حتى تمنى الموت ، وأخذت لذلك تقلل من وضع
السمن في الطبخ حتى ينقص عمرها وتموت، فقال ضيوف
حاتم (عادت حليلة إلى عاداتها القديمة) .

وصار مثلاً يضرب للشخص الذي يعود إلى عمل قديم
كان قد توقف عنه.

عش رجباً تر عجباً

كان العرب يقصدون مكة في شهر رجب ويشكون
مظالمهم إلى الله عند الكعبة فلا يتأخر عقاب الظالم ، ومنها
قولهم من باب التهديد : عِشْ رَجَبًا تَرَّ عَجَبًا.

وفي رواية أخرى أن الحارث بن عباد بن ثعلبة^(١) طلق
زوجته بعد أن كرهته ، فتزوجت من بعده رجلاً أحبته وأعطته
من المحبة والحنان ما لم تعطه للحارث ، فلقي زوجها الجديد
الحارث وأخبره أنها أعطته من الحب ما يريد ، فأجابته الحارث
[عش رجباً تر عجباً] .

(١) حارث بن عبادة بن ثعلبة : الحارث بن عباد بن قيس بن ثعلبة
البكري ، أبو منذر ، حكيم عصر ما قبل الإسلام ، كان شجاعاً ،
من السادات ، شاعراً ، انتهت إليه إمرة بني ضبيعة وهو شاب ،
وفي أيامه كانت حرب (البسوس) فاعتزل القتال ... (راجع مثل أشأم
من البسوس) ص ٣٩ .

وقيل أنه قال عش رحبًا (بالحاء) بمعنى عش طويلًا ،
والقصد أن الأحوال تتبدل والزمن يغير الناس وطباعهم ،
فاصبر لنترى ما تكون عليه الحال غدًا.

وهذا المثل مثل قولهم : (إِنْ تَعِشْ تَرَ مَا لَمْ تَرَ) قال أبو
عُيَيْنَةَ المهلب^(١):

قل لمن أبصرَ حالًا مُنكَرَةً ورأى من دهرِهِ ما حيَّرَهُ
ليس بالمنكر ما أبصرته كلُّ من عاش يرى ما لم يره
ويُضرب - المثل أيضًا- في تحوُّل الدهر وتقلُّبه ،
وإتيان كل يوم بما يُتَعَجَّب منه ، ومثله قولهم : (يُرِيكَ يَوْمٌ
برأيه) أي يظهر لك ما لم تره قبله وفي عجز بيت : كلُّ مَنْ
عاش يرى لم يره.

(١) محمد بن أبي عيينة بن المهلب بن أبي صفرة ، كان أبوه متولي
الري لأبي جعفر المنصور ، نشأ في البصرة شاعرًا ظريفًا مطبوعًا
في فنون عدة لاسيما الوصف والغزل والهجاء .

وكقول طُفيل الغنويّ :

نُبِّئْتُ أَنَّ أَبَا شَتِيمٍ يَدَّعِي مَهْمَا تَعَشَّ تَسْمَعُ بِمَا لَمْ تَسْمَعِ

في ستين داهية

كثيرة هي المناسبات التي ترد فيها عبارة (في ستين داهية) للإشارة إلى حالة من عدم الاهتمام واللامبالاة على ما ضاع بيد أن ذلك لم يكن المعنى والمقصد الأصلي ..

العبارة قالها قيس بن المكشوح^(١) المرادي ، وهي تعود إلى ما قبل الإسلام ، وقد وقعت في اليمن والتي كانت الحروب قائمة فيها بين قبيلتي مدحج وهمدان ، وكان الانتصار دائماً من نصيب قبيلة (مدحج) ، ما جعل قبيلة (همدان) تلجأ إلى الاستعانة بالفرس ، لإعداد الخطط والترتيبات للإيقاع بقبيلة مدحج ، وللتأثر لنفسها دبرت قبيلة

(١) قيس بن المكشوح المرادي : صحابي جليل واسم المكشوح هُيرة بت عبد يغوث من زاهر المرادي من مدحج ، ومدحج : قبيلة عربية كبيرة من القبائل العربية الكهلانية القحطانية ، وهو من (ارتد عن الإسلام ثم راجع)، والمكشوح لقب لأبيه ،

(همدان) جيداً واتفقوا على أن يقوم رجالها باستدراج مشايخ قبيلة (مدحج) الذين عرفوا بالذكاء والدهاء وطرح فكرة الحوار من دون حمل السلاح ، وبالفعل نجحت الفكرة ووقع ستون شيخاً من كبار مشايخ قبيلة (مدحج) في الشرك ، وعندما حانت اللحظة ، قام (الهمدانيون) بقتل المشايخ ، ونتيجة لهذه الحيلة تفرقت بعدها قبيلة (مدحج) والتي كان أحد فرسانها قيس بن المكشوح .

وبعد ظهور الإسلام حضر قيس بن المكشوح بين يدي رسول الله محمد (o) وأعلن إسلامه ، وقد حُسن إسلامه ، ثم عاد مرة أخرى إلى اليمن ، ولما حدثت الردة في كثير من القبائل المسلمة بعد وفاة رسول الله (o) ، أرسل الخليفة أبو بكر الصديق (E) ابن مكشوح لقتال من ارتد من أهل اليمن، أصرَّ وقتها أن يثار لقومه من قبيلة (همدان) لما كان من غدرهم بكبار قبيلته وهم عُزل من دون سلاح ، وباستعمال الخديعة والمكر ، فما كان منه إلا أن ثأر لهم ، وصارت

أعداد القتلى تتزايد واحدًا تلو الآخر ، ثم قام بحصار قصر (فيروز الديلمي) الفارسي في صنعاء. بقي حال صنعاء على تلك الحالة حتى جاء كبار وعُلية القوم للوساطة بين الفريقين، وقد عاتبوا قيس على الخراب والدمار الذي أوقعه بـ (الهمدانين) ، وكثرة أعداد القتلى، فما كان من قيس إلا أن أجاب بجملة مختصرة حملت الكثير من المعاني ، وهي (في ستين داهية) .

والمعنى ان كل من قتلوا وماتوا ، وكل هذا الخراب مقابل موت ستين داهية من دواهي قبيلته ، وهكذا كعادة العرب في نقل الأخبار والأقوال والمأثورات عن بعضهم تم تداول المقولة ، وعلى الرغم من ذلك تناقلت الناس المقولة على سبيل التعبير عن عدم الاهتمام واللامبالاة على ما ضاع أو فات ، وليس للمعنى الأصلي لها الذي ورد على لسان (قيس ابن المكشوح) ، والذي كان يرمز إلى المقابلة ، والتساوي في مقدار حجم الخسائر ، (فالهمدانيون) الذين ماتوا

، ماتوا في مقابل ستين رجلاً من كبار قبيلة (مدحج) ، وهو ما
يعني [في ستين داهية] .

قابلي في المشمش

المعروف عن ثمر المشمش في بعض البلاد العربية أنّه لا يدوم طويلاً ، ومن هنا جاء القول العامي (جمعة مشمشية) أي أسبوع قصير .

وقد توسع الناس في هذا المعنى ، فكان المشمش يكنى به بقصر الوقت أولاً ، ثم صار يُكنى به عن قلة الوقت وعدمه؛ وكأنّ الإنسان إذا قال (في المشمش) فإنه يعني أن هذا الذي في المشمش لا وجود له ، أو أن الموعد المضروب في المشمش لن يحتاج له أن يتحقق .

كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرَ

يُقَالُ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ : فَلَانٌ سَاكِنٌ الطَّائِرُ ، أَي حَلِيمٌ هَادِئٌ وَقَوْرٌ ، وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ لَشِدَّةِ وَقَارِهِ وَهَدْوَيْهِ لَوْ نَزَلَ عَلَى رَأْسِهِ طَائِرٌ لَبَقِيَ سَاكِنًا لَمْ يَطِيرَ ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

وَكَأَنَّمَا الطَّيْرُ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ لَا خَوْفَ ظُلْمٍ وَلَكِنْ خَوْفَ جُلَّالٍ

وَمِنْ هَذَا الْمَعْنَى أَوْ قَرِيبٍ مِنْهُ قَوْلُهُمْ فِي الْكَلَامِ عَلَى النِّعْمَةِ وَالخُصْبِ :

هُمُ فِي نَعِيمٍ لَا يُطَيَّرُ غُرَابُهُ . وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الْغُرَابَ لِكثْرَةِ الْخَيْرِ يَرْتَعُ وَيَذْهَلُ عَمَّا حَوْلَهُ حَتَّى أَنَّهُ لَا يَتْرِكُ مَكَانَهُ وَلَا يَطِيرُ ، حَتَّى لَوْ سَعَى أَحَدٌ أَنْ يُطَيَّرَهُ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ النَّابِغَةُ الذَّبْيَانِي :

وَلِرَهْطِ حَرَّابٍ وَقَدِّ سَوْرَةٍ فِي الْمَجْدِ لَيْسَ غُرَابُهَا بِمُطَارٍ

وَيُقَالُ أَيْضًا : هُوَ وَاقَعَ الطَّيْرَ ، إِذَا كَانَ هَادِئًا وَقَوْرًا .

ويقال في عكس ذلك كأنهم غرابًا واقعًا ، لأن الغراب إذا وقع لا يلبث أن يطير .

ويقال : طار طائرُهُ أي ثار وغضب .

وفي الحديث عن صفة مجلس رسول الله (o) : (إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير) أو (كأن على رؤوسهم الطير) أي ساكنون هيبَةً . وأصله أن الغراب يقع على رأس البعير فيلقط عنه القُرَادَ فيرتاح البعير لذلك ، فلا يتحرك لئلا ينفر عنه الغراب.

لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ

أول من قاله عُتْبَةُ بن ربيعة^(١)، وتمثل به الإمام علي (كرم الله وجهه) . وقاله عُتْبَةُ حين أجمعت قريش المسير إلى بَدْرٍ وهو مأخوذٌ من قول الشاعر :

أَمْرُهُمْ أَمْرِي بِمَنْعَرَجِ اللَّوِيِّ وَلَا أَمْرَ لِلْمَعْصِيِّ إِلَّا مُضَيِّعًا

إنَّ الإمام علي (كرم الله وجهه) ، رجلٌ شجاع ، ولكن لا علم له بالحرب لله أبوهم ، وهل أحدٌ منهم أشد لها مراسًا ، وأقدم فيها مقامًا مني ، لقد نهضت فيها ، وما بلغت العشرين ، وجاء المثل عند الإمام مناسبًا لما بنى على الحادثة التي قيل فيها ، وجاء المثل من باب المبالغة في عدم تحقيق الأهداف السامية عند تركهم لطاعته ، وهو نظير قولهم .

(لا رأي لمعصي) .

(١) أبو الوليد عتبة بن ربيعة العبشمي القرشي الكناني (٥٥٥-٦٢٤م) سيد عبد شمس ، ومن حكماء قريش ، يلقب بالعدل لأنه يعدل قريش كلها بالحلم والرأي السديد .

لا في العير ولا في النفير

العير : الإبل تَحْمِلُ التجارة ، ويُعنى به ها هنا عَيْرُ قريش التي خَرَجَ رسول الله (ﷺ) لأخْذِهَا، ووقعتْ وقعةً بَدْرٍ لأجلها ، والنفير ... يُعنى به وقعة بَدْرٍ، وذلك أن كلَّ مَنْ تخَلَّفَ عن العير وعن النِّفِيرِ لبدر من أهل مكة كان مُسْتَضْعَرًا حقيرًا فيهم، ثم جُعِلَ مثلاً لكل مَنْ هذه صفته .
وهو يُضرب مثلاً للرجل يُحتَقَرُ لقلّة نفعه .

لا مَخْبَأَ لِعِطْرِ بَعْدِ عَرُوسٍ

وأصله أنّ رجلاً تزوج امرأة ، فهدّيت إليه فوجدها تَفَلَةً ،
فقال : أين الطَّيِّب ! فقالت : حَبَّأْتُهُ ، فقال : (لا مَخْبَأَ لِعِطْرِ
بعد عَرُوسٍ) .

والعروس : اسم للرجل والمرأة ، فإذا كان الرجل فجمعه
عُرُوسٌ ، وإذا كانت المرأة فالجمع العرائس .
ويضرب المثل للشيء يُسْتَعَجَل عند الحاجة إليه .

لَا يَعْرِفُ هِرًا مِنْ بَرٍّ

ومعناه لَا يَعْرِفُ شَيْئًا مِنْ شَيْءٍ ، وقيل : معناه لَا

يَعْرِفُ مِنْ يَبْرُهُ مِمَّنْ يَكْرَهُهُ، يقال :

هَرَزْتُ الشَّيْءَ إِذَا كَرِهْتَهُ.

قال عنترَةُ :

حَلَفْنَا لَهُمْ وَالْخَيْلُ تَرْدِي بِنَا مَعًا

نُزَايِلِكُمْ حَتَّى تَهْرَوُا الْعَوَالِيَا

وقيل معناه أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ السِّنَّورَ مِنَ الْفَأْرِ ، وَالْهَرُّ :

السِّنَّورُ ، قِيلَ : وَالْبِرُّ : الْفَأْرَةُ ، (وَلَا نَعْرِفُ صِحَّةَ ذَلِكَ).

لَا يُلْسَعُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُرِّ مَرَّتَيْنِ

المثل للنبي (o) ..

قال ابنُ سَلامٍ : كان أبو عَزَّةَ^(١) شاعراً مُملِقاَ ذا عِيالٍ ،
فَأُسِرَ يَوْمَ بَدْرٍ كَافِراً ، فقال : يا رسول الله ، إني ذُو عِيالٍ
وَحَاجَةٌ عَرَفْتُهَا فَاْمُنُّنُ عَلَيَّ ، فقال : على أَلَا تُعِينَ عَلَيَّ ، يُرِيدُ
بِشِعْرِهِ ، فَعَاهَدَهُ فَأُطْلِقَهُ

فلما كان يَوْمُ أُحُدٍ ، دعاه صفوانُ بن أُمَيَّةَ بن خلف
الْجُمَحِيِّ ، وهو سيدهم إلى الخُروجِ ، فقال إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَنَّ
عَلَيَّ وَعَاهَدْتُهُ إِلَّا أُعِينَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَزَلْ بِهِ ، وكان محتاجاً

(١) أبو عزة الجمحي : شاعر في عصر ما قبل الإسلام له قصة معروفة عند أسره في غزوة بدر، إذ عفا عنه النبي محمد (o) ، ولكن أبا عزة عاد لمهاجمة النبي (o) فأسره مرة أخرى في غزوة أحد وضرب عنقه . (ت ٦٢٥ هـ) ، وكان شاعراً مملقاً ذا عيال .

فأطمعه والمحتاج يطمع ، فخرج فسار في بني كنانة
فحرّضهم، فقال :

أيا بني عبد مناف الرّزام أنتم حماة وأبركم حام
لا تعدوني نصركم بعد العام لا تسلموني لا يحلّ إسلام

قال : فأسر يوم أخذ ، فقال : يا رسول الله ، منّ عليّ ،
فقال النبي (o) : (لا يُلْسَعُ المؤمنُ من جُحرٍ مرّتين ، لا
تَمْسَحُ عارضِيكَ بمكة وتقول : خدعتُ محمدًا مرتين) ، وقتله،
وقيل : إنّه أسره حين خرج إلى حمراء الأسد^(١).

وهذا كناية عما يُؤثّمه ، أي : أن الشرع يمنع المؤمن
من الإضرار (الإصرار)، فلا يأتي ما يستوجب به تضاعف
العقوبة .

ويضرب لمن أُصيب ونُكب مرة بعد أخرى .

(١) حمراء الأسد : موضع على بعد ثمانية أميال من المدينة ، إليه
انتهى رسول الله (o) يوم أُحد في طلب المشركين .

لا ناقة لي في هذا ولا جمل أولا ناقتي في هذا ولا جملي

وهذا مثلٌ من أمثال العرب المشهورة وأصله أنّ امرأة تُسمى الصّدوف^(١) العُذريّة بنت جُلّيس ، كانت زوجة لزيد بن الأخنس العُذري ، وكانت له بنتٌ من غيرها تسمى الفارعة ، وكانت تسكن بمعزلٍ عن امرأة أبيها في خباءٍ آخر ، فغاب زيدٌ عن زوجته مدةً ، فعلق الفارعة رجلاً عُذري يسمي شبت وطاوعته ، فكانت تركب كلّ عشيةً جملاً وتذهب مع شبت إلى مكانٍ ويبيتان فيه . ولما رجع أبوها زيدٌ من غيبته، عرّج على كاهنةٍ اسمها طريفة ، فأخبرته بما يجري من الريبة في بيته .

(١) هي من ربّات الفصاحة والبلاغة، كانت تؤيد الكلام وتسجع في المنطق ، وكانت ذات مالٍ كثير ، وقد خطبها كثيرون فردتهم .

فأقبل وظنَّ الخيانة في زوجته ، فلما دخل عليها عَرَفَتْ
الشرَّ في وجهه ؛ فقالت له : لا تُعَجِّل ، وأقِفْ الأثر ؛ (لا ناقة
لي في هذا ولا جمل) .

وهذا المثل يُضرب في التَّبَرُّؤ من التهمة والظلم
والإساءة ، وقد ضُمَّنَّ هذا المثل في أقوال العرب وأشعارهم
ومن أحسن التضمين وقول الشهاب أبي التناء محمود في
قصيدة له يقول فيها:

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ أَيْنَ الْغَيْثُ مُنْفَصِلًا

مِنْ بَرِّهِ وَهُوَ طَوْلَ الدَّهْرِ مُتَّصِلٌ

مَنْ حَاتِمٌ عَدَّ عَنْهُ وَاطَّرِحَ فَبِهِ

فِي الْجُودِ لَا بِسِوَاهِ يُضْرَبُ الْمَثَلُ

أَيْنَ الَّذِي بَرَّهُ الْآلَافُ يَتَّبَعُهَا

كَرَائِمِ الْخَيْلِ مِمَّنْ بَرَّهُ الْإِبِلُ

لو مُثِّلَ الجودُ سَرِحًا قال حاتمُهم

لا ناقةٌ لي في هذا ولا جملٌ

وقال الراعي :

وما هَجَرْتُكَ حتى قُلْتُ مُغْلَبَةً

لا ناقةٌ لي في هذا ولا جملٌ

ويقول الطغرائي في لاميته المشهورة :

فِسمَ الإِقامةَ في الزوراءِ لا سَكَنِي

بها ولا ناقتي فيها ولا جَملي

وفي مصادر أخرى ذكرت ، أنَّ الحارث بن عباد الذي رفض المشاركة في حرب البسوس بين تغلب وربيعة ، وقد كان سبب الحرب أنَّ كليبًا قتل ناقة البسوس ، فقام جساسٌ لقتل جمل كليب ، لكنه قتل كليبًا نفسه ، فاشتعلت الحرب بين أبناء العمومة ، ولما دُعي ابن عباد إلى الحرب رأى أنها حرب غير محقة لا لطرف الزير سالم أخو كليب المقتول ولا لطرف مرة

بن ربيعة والد جساس القاتل فأبى النزول ، وقال : (لا ناقتي
فيها ولا جملي) فصارت جملته هذه مضرِبًا للمثل تدل على
البراءة من الأمر .

مسمار جحا

مسمار جحا^(١) : لا يقل أهمية عن جحا نفسه ...

وجحا شخصية هامة جدًا في تاريخنا ؛ إذ طالما كان

اللسان المعبر عما نسميه الآن (الأغلبية الصامتة) !

أما مسماره ، فيضرب به المثل في اتخاذ الحجة الواهية

للوصول إلى الهدف المراد ولو بالباطل .

وأصل الحكاية ، إنّ جحا كان يملك دارًا ، وأراد أن

يبيعها دون أن يفرط فيها تمامًا ، فاشتراط على المشتري أن

يترك له مسمارًا في حائط داخل المنزل ، فوافق المشتري دون

(١) جحا : " شخصية خيالية من التراث الشعبي العربي ، وفي كثير من

الثقافات القديمة، ونسبت إلى شخصيات عدة ، عاشت في عصور

ومجتمعات مختلفة ، وفي الأدب العربي ، نسب جحا إلى (أبو

الغصن) دُجين الفزاري الذي عاصر الدولة الأموية ، وهو أقدم

شخصيات جحا وإليه تنسب النكات العربية .

أن يلحظ الغرض الخبيث لجحا من وراء الشرط ، لكنه فوجئ بعد أيام بجحا دخل عليه البيت ، فلما سأله عن سبب الزيارة أجاب جحا : جئت لأطمئن على مسامري !! فرحب به الرجل وأجلسه وأطعمه ، لكن الزيارة طالت ، والرجل يعاني حرًا من طول وجود جحا ، لكنه فوجئ بما هو أشد ؛ إذ خلع جحا جبته ، وفرشها على الأرض وتهايا للنوم ، فلم يطق المشتري صبرًا ، وسأله :

ماذا تتوي أن تفعل يا جحا !؟

فأجاب جحا بهدوء :

سأنام في ظل مسامري !! وتكرر هذا كثيرًا ، وكان جحا يختار أوقات الطعام ليشارك الرجل في طعامه ، فلم يستطع المشتري الاستمرار على هذا الوضع وترك دار جحا بما فيها وهرب !!

مُكْرَهُ أَخَاكَ لَا بَطْلَ

تدور أحداث القصة حول معركة دارت بين سيدنا علي (E) وبين معاوية بن أبي سفيان في معركة صفين ، وحينها قام سيدنا علي بخلع درعه لكي يبارز بالسيف ، وهذا الطلب كان دليلاً على شجاعة وقوة سيدنا علي (E) . وجيش معاوية كان يعي تماماً بشجاعة وبطولة سيدنا علي ابن عم الرسول الرجل القوي ، وبالفعل لم يخرج أيّ من جيش معاوية من أجل مبارزته ، ولا حتى معاوية ، وقابله بالرفض وتوجه إلى عمرو بن العاص يطلب منه مبارزة سيدنا علي بن أبي طالب ، وكانت علامات التعجب والاستغراب واضحة على وجهه ، وسأله متعجباً ، أحقاً تريدني أن أبارز أبا الحسن ؟ فلو كان رجلاً غيره لما كنت أخاف وعزمت على ذلك، ولكنه علي ومواجهته ليس بالشيء الهين ، فقال له معاوية ، أما أمرتك بفعل ذلك؟ وخرج عمرو بن العاص قبالة سيدنا علي ، وقام

برمي سيفه أرضًا وقال : (مُكْرَهُ أَخَاكَ لَا بَطْلًا) ، والمقصود بذلك أنه وقف أمام سيدنا علي بالإجبار ، وليس بطولة منه ، وكانت ردة فعل سيدنا علي بأن ضحك على تصرفه وعاد إلى جيشه ، ولم يقيم بالمبارزة ، وبعد ذلك وقع القتال بينهم ، ودارت معركة شرسة بين الطرفين نتج عنها موت الكثير من الصحابة (رض) ، ولكن انتهت الحرب بنصر سيدنا علي بن أبي طالب (ع) .

في حين واجه أمير المؤمنين علي .. معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص في معركة (صفين) ، وقالوا : إنّ معاوية بن أبي سفيان حضر (صفين) فخرج علي بن أبي طالب ، وتعرفون من هو علي أشهر ما فيه أنه (حيدرة الأسد) يقول :

أنا الذي سمّتي أمي حيدره ..

كَلَيْتَ غَابَاتِ كَرِيهِ الْمَنْظَرِ

أَكِيلِكُمْ بِالسَّيْفِ ، كَيْلِ السَّنْدَرِ

كان إذا خرج الأبطال وضعوا الدروع في الأرض
علامة: (خطر ممنوع الاقتراب) ! أخرج السيف يوم صفين
وقال : من يبارز ؟

قال المسلمون : بارز أنت يا معاوية ، قال : والله لا
أقدر عليه ، ثم ردها على عمرو بن العاص ، وقال : يا
عمرو بن العاص ؟ بارز الرجل .

قال ابن العاص : لا أريد .

قال معاوية : عزمت عليك أن تبارزه .

فخرج عمرو ، فلما رأى علياً (A) وضع درعه وسيفه .

قال : (مُكْرَةً أَخَاكَ لَا بَطْلَ). .

وبدأت المعركة وفرّ معاوية .

وهناك قصة أخرى لقصة هذا المثل ننقلها للإفادة ..

إنَّ رجلاً يدعى (أبا حَنْشٍ) خال بَيْهَسٍ^(١) الملقب بنعامه قال له خالهُ : وقد بلغه إنَّ ناسًا من أشجع في غار يشربون ، وهم قاتلون إخوته :

هل لك في غار فيه ظباء لعنا نصيب منها؟

فانطلق به حتى أقامه على فم الغار ، ثم دفعه في الغار فقال : ضربًا أبا حنش فقتلهم جميعًا ، فلما خرج من الغار قال بعضهم : إنَّ أبا حنش لبطل ! فقال أبو حنش (مُكْرَةً أَخَاكَ لَا بَطْلًا) ، فصار هذا مثلاً يضرب لمن يُحْمَلُ على ما ليس من شأنه .

ومن الوجهة النقدية فإنَّ الالفت للنظر في مثل (مُكْرَةً أَخَاكَ لَا بَطْلًا) والذي يُعَدُّ من أكثر الأمثلة المتداولة بين الناس، هو الخطأ النحوي ، أي من الناحية النحوية البحتة ،

(١) وهو رجل من بني فزارة بن ذيبان بغيض ، كان يُلقَّب بـ (نعامة) .

فهذا المثل الشائع ، والذي يتمثل به بعضهم ، حينما يكون هناك أمام أحدهم فعل صعب يجبر على الإقدام عليه شيء من التهور ، وفيه مخاطرة كبيرة ، غير أن حقيقة فعله يعود إلى أنه لا خيار آخر أمامه سوى ذلك .

إنّ الخطأ القواعدي الإعرابي ، فهذا المثل لا يخلو عن كونه مخالفاً للقواعد العامة للإعراب والنحو ، وفيه خطأ ذلك أن الصحيح هو أن نقول (مُكْرَةٌ أَخَاكَ لَا بَطْلٌ) ، ومن هنا يبدأ السؤال فما الحجة اللغوية أو القواعدية التي جعلت بعضهم يقول بصحته الإعرابية .

نرى هنا أن الاستثناء ، راح مثلاً يحتذى به ويستند إليه في اللغة ولهذا نجد أن للمثل أكثر من وجه إعرابي :

مُكْرَةٌ أَخَاكَ لَا بَطْلٌ.

مُكْرَةٌ : خبر مقدم مرفوع .

أَخَاكَ : أختا : مبتدأ مؤخر جوازاً مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الألف (على لغة تميم) منع من ظهورها

التعذر ، وهو مضاف ، والكاف : ضمير متصل في محل جر مضاف إليه.

لا : حرف عطف ونفي .

بطل : معطوف على مرفوع (مُكْرَةٌ) يتبعه رفعًا .

لكن ابن هشام الأنصاري في مغني اللبيب ، وجه العبارة توجيهاً آخر هو : إنّ أخاك وردت على لغة من قال :

إنّ أباهما وأبا أباهما قد بلغا في المجد غايتها

وهي لغة القصر ، ولغة القصر هذه حكاها ابن

الأعرابي :

أما إعراب المثل : فقولُه :

مُكْرَةٌ : خبر مقدم ، وأخاك مبتدأ مرفوع ، وعلامة رفعه

الضمة المقدّرة للتعذر ، على لغة من قَصَرَ .

أو : مُكْرَةٌ : مبتدأ ، وأخاك : نائب فاعل سد مسد الخبر

مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة للتعذر . على رأي الكوفيين

والأخفش الذين لا يشترطون في الوصف اعتماده على نفي أو شبهه.

مُكْرَةٌ أَخَاكَ لَا بَطْلٌ

مُكْرَةٌ : خبر مقدم مرفوع علامة رفعه الضمة.

أَخَاكَ : نائب فاعل سد مسد المبتدأ ، مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الألف للتعذر ، وهذه لغة، أو منع من ظهورها الحكاية .

لا : حرف عطف .

بطل : اسم معطوف على مُكْرَةٌ مرفوع .

وهناك أوجه إعرابية عدّة له .

فقول المثل الصحيح هو : مُكْرَةٌ أَخوك لَا بطل

مُكْرَةٌ : خبر مقدم .

أخو : مبتدأ مؤخر .

مواعيد عرقوب

في أصل هذا المثل قولان : الأول لأبي علي بن أحمد
بن إسماعيل النحوي، إذ يقول :
عُرْقُوبٌ رَجُلٌ مِنْ خَيْبِرٍ كَانَ يَهُودِيًّا ، وَكَانَ يَعِدُ وَلَا يَفِي ،
فَضْرَبَتْ بِهِ الْعَرَبُ الْمَثَلَ .

من ذلك قول الشاعر المتلمّس :

الغَدْرُ والآفَاتُ شِيمَتُهُ فافهم فعرقوبٌ له مَثَلُ

وقال كعب بن زهير :

كانت مواعيدُ عرقوبٍ لها مثلاً وما مواعيدها إلاّ الأباطيلُ

القول الثاني : لأبي عبيد، وهذا قوله :
عرقوبٌ رجلٌ من العماليق أتاه أخ له يسأله فقال له
عُرقوب : إذا أطلعت هذه النخلة فلك طلعتها .

فلما أطلعت أتاه فقال له دعها تصير بلحًا ، فلما
صارت بلحًا قال له : دعها تصير زهواً أي بُسراً ملوناً : فلما
صارت زهواً ، قال له دعها حتى تصير رُطبًا فلما صارت
رُطبًا قال له : دعها حتى تصير تمرًا فلما صارت تمرًا عمَدَ
إليها عُرقوبٌ فجدّها ولم يُعطِ أخاه من التمر شيئاً ، فصار
مثلاً ، وفي ذلك يقول الأشجعي (١) :

وعدت وكان الخلف منك سجيّةً مواعيد عُرقوبٍ أخاه بيثرب (٢)

(١) يزيد بن عبيد بن قيس بن هلال بن أشجع ، ويدعى جبهاء أو
جبهاء ، وهو الأكثر شيوعاً ، شاعر أموي خبيث ، ولم ينتجع
الخلفاء بشعره .

(٢) يثرب: هي المدينة المنورة ، وفي بعض الروايات (يثرب) هي
موضع قريب من اليمامة .

ويقول علقمة :

وقد وعدتُك وعدًا ما وفيتُ به
كموعد عرقوبٍ أخاه بيثرب

وافق شن طبقة

قال ابن الكلبي^(١): طبقة قبيلة من إياد كانت لا تطاق،
وشن أبو قبيلة أخرى مثلها لا تطاق ، فوعدت بـطبقة فأذاقتها
شدة وعسفاً ، فقيل : (وافق شن طبقة) .

أي إن الشديد يلاقي شديداً مثله ، كما قال الشاعر :

لَقَيْتُ شَنْ إِيَادًا بِالْقَنَا طَبَقًا وَافَقَ شَنْ طَبَقَهُ

ويقول الشرقي بن القطامي^(٢): كان شن رجلاً من دهاة

العرب وعقلانهم ، فقال يوماً : والله لأطوفن حتى لأجد امرأة

(١) ابن الكلبي : أبو المنذر بن الحارث بن عبد الحارث الكلبي ويكنى
ابن الكلبي ، مؤرخ وعالم أنساب وأخبار العرب وأيامها ووقائعها
ومثالبها ولد في الكوفة (٧٣٧م) وتوفي في الكوفة (٨١٩م) .

(٢) الشرقي بن القطامي الكلبي : الشرقي والقطامي لقبان : هو الوليد
بن الحصين بن حماد (٨٠-١٥٥هـ) كان علامة نسابة إخبارياً إلا

مثلي فأتزوجها ، فبينما هو في بعض مسيره إذ لقيه رجلٌ في الطريق ، فسأله شَنَّ : أين تُريد ؟ فقال : (أريدُ) مَوْضِعَ كذا ، وكان يريد القرية التي كان شَنَّ يقصد لها . فترافقا في الطريق . ثم قال له شَنَّ : أتحملي أم أحملك ؟

فقال الرجل : يا جاهل ، أنا راكب وأنت راكب ، فكيف أحملك وتحملي؟ فسكت عنه شَنَّ ، وسارا حتى قَرُبَا من القرية فإذا هما بزرع قد استحصد ، فقال شَنَّ : أترى هذا الزرع أُكِل أم لا؟ فقال له الرجل : يا جاهل ترى نباتًا مُستحصدًا وتقول أتراه أُكِل أم لا ؟ فسكت عنه شَنَّ ، حتى إذا دخلا القرية لقيتهما جنازة ، فقال شَنَّ : أترى صاحب هذا النعش حيًا أم ميتًا ؟ فقال له الرجل : ما رأيتُ أجهل منك ، ترى جنازة فتسأل عنها أميت صاحبها أم حيي ؟ فسكت عنه شَنَّ وأراد

أنه كان ضعيفًا في روايته ، وكان من أهل الكوفة وكنيته شرقي أبو المثنى .

مفارقته ، فأبى الرجلُ أن يتركه حتى يصير به إلى منزله ،
فمضى شن معه . وكان للرجل ابنةٌ يقال لها طبقة، فلما دخل
عليها أبوها سألته عن ضيفه فأخبرها كيف التقيا وترافقا ،
وشكا إليها جهله ، وحدثها لحديثه ، وأسئلته الباردة ، فقالت
البنات يا أبتِ ما هذا ما بجاهل. أما قوله : أتحملي أم
أحملك؟ فأراد أن يقول : أتحدثني أم أحدثك حتى نقطع
طريقنا، وأما قوله : أترى هذا الزرع أكل أم لا ؟ فإنما أراد :
أباعه أهله فأكلوا ثمنه أم لا ؟ وأما قوله في الجنابة ، فإنما
أراد: هل ترك عَقِبًا يحيا بهم يكره أم لا ؟ فخرج الرجل فقعد
مع شَنّ وحادثة ساعة ، ثم قال له : أتحبُّ أن أفمِّر لك ما
سألتني عنه ؟ قال : نعم ، ففسّره ، فقال شن ما هذا من
كلامك ، فأخبرني من صاحبه ، فقال الرجلُ ابنةً لي فخطبها
شَنّ وتزوجها وحملها إلى أهله ؛ فلما رأوهما قالوا (وافق شَنّ
طبقة) فذهبت مثلاً.

وقال الأصمعي: الشَّن وعاءٌ من جلدٍ كان تَشَنَّ أي صار
خَلَقًا فاتخذوا له غِطاءً يناسبه ، فقالوا: (وافق شُنُّ طبقة) .

وتمثل بالمثل الحريري في مقاماته التبريزية ، فقال :

أراكُما شَنًّا وطَبَقَه وجِدَاءً وبُنْدُقَةَ

ويضرب هذا المثل للمتوافقين في أمر معين

وعند جُهينة الخبر اليقينُ

في رواية المثل اختلاف ، فالأصمعي كان يقول :

وعند جُهينة؛ وقال أبو عبيدة : وعند حُفينة ؛ وقال هشام

ابن الكلبي^(١) : وعند جهينة، وقال أبو عبيدة : كان ابنُ الكلبي

في هذا النوع أكثر من الأصمعي ، أي إنَّ قولَ ابن الكلبي

أصح ، وعلى هذا فإن المثلَ يُروى على الوجه الأصح به :

(وعند جُهينة الخبرُ اليقين) .

ولهذا المثل حكايتان :

(١) هشام بن الكلبي : أبو المنذر هشام بن محمد بن الحارث الكلبي

ويكنى بـ (ابن الكلبي) - مؤرخ وعالم أنساب وأخبار العرب (١١٠) -

. (٢٠٤هـ) .

١- الحكاية الأولى : قال السيرافي : جُهَيْنَةُ اسمُ خَمَارٍ اجتمع عنده رجلان فَشَرِبَا وسكرا ، ثم تَوَاشَا ، فقام شخصٌ ثالثٌ يُصَلِّحُ بينهما فَقَتَلَهُ أَحَدُ الاثنتين ، فأخذ أهلُ القنيلِ الرجلين إلى المحاكم ، فقال الحاكم : عليكم بجهينة فإن عنده الخبر اليقين .

٢- الحكاية الثانية : أن رجلاً اسمه حَصِينُ بنُ عمرو بن معاويةَ بن كلاب خرج يَطْلُبُ فُرْصَةً له ، فاجتمع برجلٍ من جُهَيْنَةَ يقال له الأحنَسُ ، فنزلا في بعض منازلهما ، وتعاقدا أن لا يُلْقِيا أَحَدًا إِلَّا سَلَبَاهُ ، وكلاهما فاتكٌ ، فلقيا رجلاً فسلباه كلٌّ ما معه ، فقال لهما : هل لكما أن تَرُدَّا علي بعض ما أَخَذْتُمَاهُ مِنِّي ، فقالا : نعم ، فقال لهما : هذا رجلٌ لَحْمِي قَدِمَ من بعض الملوك بِمَعْنَمٍ كثير ، وهو خَلْفِي في موضع كذا ، فَقَبَلَا منه ، وردَّا عليه بعض ماله ، ثم طَلَبَا اللَّحْمِيَّ فوجداه نازلاً في ظلِّ شجرة ، وقُدَّامه طَعَامُهُ وشرابه

فَحَيَّيَاهُ وَحَيَاهُمَا وَعَرَضَ عَلَيْهِمَا الطَّعَامَ فَنَزَلَا وَأَكَلَا وَشَرِيَا
مَعَهُ ، أَي اللُّخْمِي . ثُمَّ إِنَّ الْأَخْنَسَ ذَهَبَ لِبَعْضِ شَأْنِهِ ،
فَاغْتَمَّ حَصِينَ غِيَابَ صَاحِبِهِ ، فَقَامَ وَضَرَبَ اللَّخْمِيَّ
بَسِيفِهِ ، فَلَمَّا رَجَعَ الْأَخْنَسُ وَجَدَ سَيْفَ صَاحِبِهِ مَسْلُولًا ، وَوَجَدَ
اللُّخْمِيَّ يَتَشَخَّطُ فِي دَمِهِ فَسَلَّ سَيْفَهُ وَقَالَ لِحَصِينِ : وَيْحَكَ
قَتَلْتَ رَجُلًا قَدْ تَحَرَّمْنَا بَطْعَامَهُ وَشَرَابَهُ ، فَقَالَ حَصِينُ : أَقْعَدُ
يَا أَخَا جَهِينَةَ ، فَهَذَا وَشَبَّهَهُ خَرَجْنَا ، ثُمَّ إِنَّ الْأَخْفَشَ الْجُهَنِيَّ
شَعَلَ صَاحِبَهُ بِشَيْءٍ ثُمَّ وَتَبَّ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ وَأَخَذَ مَتَاعَهُ وَمَتَاعَ
اللُّخْمِيِّ ، ثُمَّ انصَرَفَ إِلَى قَوْمِهِ رَاجِعًا بِمَالِهِ ، فَمَرَّ بِبَطْنَيْنِ
مِنْ قَيْسٍ يُقَالُ لَهُمَا مِرَاجُ وَأَنْمَارُ ، وَإِذَا امْرَأَةٌ تُتَشَدُّ الْحَصِينِ
فِي الْمَوَاسِمِ ، وَتَسْأَلُ عَنْهُ ، فَلَا تَجِدُ مِنْ يُخْبِرُهَا بِخَبْرِهِ .
فَقَالَ الْأَخْنَسُ حِينَ أَبْصَرَهَا : مَنْ أَنْتِ؟ قَالَتْ أَنَا صَخْرَةُ
امْرَأَةِ الْحَصِينِ الْغَطْفَانِيِّ (وَيُقَالُ إِنَّهَا كَانَتْ أخته) فَمَضَى
وَهُوَ يَقُولُ :

وَكَمْ مِنْ ضَيِّعٍ وَرِدٍ هَمُوسٍ
 عَلَوْتُ بِيَاضَ مَفْرَقَةٍ بَعْضِ
 وَأَضَحَتْ عَرْسُهُ وَلَهَا عَلَيْهِ
 كَصَخْرَةٍ إِذْ تُسَائِلُ فِي مَرَاحِ
 تُسَائِلُ عَنْ حُصَيْنٍ كُلِّ رَكْبِ
 أَبِي شَبْلِينَ مَسْكَنُهُ الْعَرِينُ
 فَأَضْحَى فِي الْفَلَاةِ لَهُ سُكُونُ
 بُعِيدَ هُدُوقِ لَيْلَتِهَا رَنِينُ
 وَأَنْمَارٍ وَعِلْمِهَا ظُنُونُ
 وَعِنْدَ جُهَيْنَةَ الْخَبْرُ الْيَقِينُ

وتوجدُ حكايةٌ ثالثةٌ على رأي الأَصمعي ، وهي أن
 جُهَيْنَةَ (لا جُهَيْنَةَ) رَجُلٌ كان يعلم خبرَ قتيلٍ كان قد قُتِلَ ،
 وكان قومُه يبحثون عنه ، فأخبرهم به - وفيه يقول الشاعر

تُسَائِلُ عَنْ حُصَيْنٍ كُلِّ رَكْبِ وَعِنْدَ جُهَيْنَةَ الْخَبْرُ الْيَقِينُ

ويفهم من هذه الحكاية أن التي كانت تبحث عن الخبر
 هي ابنةُ الرجلِ المقتول ، وهو أبوها.

ويقال أحياناً عن الشخص العالم بحقيقة الأخبار إنّه
 جهينةُ الأخبار ، كما قال الحريري في مقامته الفراتية ،
 واستعمل العبارة اليازجي في مقامته الرّصافية فقال :

إِذَا كَانَ الْعِبَادُ بِكُلِّ عَصْرِ

شِمَالٍ غَرِيبَةٍ فَأَنَا الْيَمِينُ

سَلُّوا عَمَّا أَرَدْتُمْ مِنْ فَنُونٍ

فَعِنْدَ جُهَيْنَةَ الْخَبَرِ الْيَقِينُ

ويُضْرَبُ الْمَثَلُ فِي مَعْرِفَةِ الشَّيْءِ حَقِيقَةً .

المحتوى

الصفحة	الموضوع	ت
٧	١ . التمهيد
١١	٢ . أسباب انتشار أمثال العرب في عصر ما قبل الإسلام
١٣	٣ . المثل عند اللغويين والنحاة

الأمثلة

١٦	١ . أبْصِرْ من زرقاء اليمامة
٢٠	٢ . أبلغ من سبحان
٢٣	٣ . أتتكَ بحائن رجلاه
٢٦	٤ . إذا كنت ريحًا فقد لاقيت إعصارًا
٢٨	٥ . إنَّ العصا من العصية
٣٠	٦ . اختلط الحابل بالنابل
٣٢	٧ . أخوك من صدِّقك (النصيحة)
٣٣	٨ . ارحموا عزيز قوم ذل
٣٥	٩ . أريها السُّها وتريني القمر!
٣٨	١٠ . أسمع جعجعة ولا أرى طِحْنًا

- ٣٩ ١١ . أشأم من اليسوس.....
- ٤٣ ١٢ . أعذر من أنذر.....
- ٤٥ ١٣ . انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا.....
- ٤٨ ١٤ . إِيَّاكَ أعني واسمعي يا جارة.....
- ٥٠ ١٥ . إنك لا تحني من الشوك العنب.....
- ٥١ ١٦ . إياكم وخضراء الدّمن.....
- ٥٤ ١٧ . بالرّفاء والبنين.....
- ٥٥ ١٨ . إنّ البغاث بأرضنا يستنسر.....
- ٥٧ ١٩ . الصيد كلّ الصيد في جوف الفرا.....
- ٦٠ ٢٠ . الصيف ضيّعت اللبن.....
- ٦٥ ٢١ . اليوم خمّرٌ وغدًا أمر.....
- ٦٦ ٢٢ . بلغ السيلُ الزبي.....
- ٧٠ ٢٣ . تسمع بالمعيدي لا أن تراه.....
- ٧٣ ٢٤ . جاء يكحلها عماها.....
- ٧٥ ٢٥ . جزأوه جزاء سنمار.....
- ٧٩ ٢٦ . جوع كلبك يتبعك.....
- ٨٠ ٢٧ . حرامًا يركب من لا حلال له.....
- ٨١ ٢٨ . خذ الحكمة من أفواه المجانين.....

- ٢٩ رَبِّ أَخ لَكَ لَمْ تَلِدْهُ أُمِّكَ ٨٣
- ٣٠ رَبِّ أَكَلَةٌ مَنَعَتْ أَكَلَاتِ ٨٥
- ٣١ رَبِّ رَمِيَةٌ مِنْ غَيْرِ رَامِ ٨٨
- ٣٢ رَجَعْتُ بِخَفِيِّ حَنِينِ ٩٠
- ٣٣ سَبَقَ السِّيفُ الْعَدْلَ ٩٢
- ٣٤ عَادَتْ حَلِيمَةٌ إِلَى عَادَتِهَا الْقَدِيمَةِ ١٠٠
- ٣٥ عَشْرٌ رَجَبًا تَرَى عَجَبًا ١٠٢
- ٣٦ فِي سَتِينِ دَاهِيَةٍ ١٠٥
- ٣٧ قَابَلَنِي فِي الْمَشْمَشِ ١٠٩
- ٣٨ كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرَ ١١٠
- ٣٩ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعَ ١١٢
- ٤٠ لَا فِي الْعَيْرِ وَلَا فِي النَّفِيرِ ١١٣
- ٤١ لَا مَخْبَأَ لِعَطْرِ بَعْدَ عَرُوسٍ ١١٤
- ٤٢ لَا يَعْرِفُ هِرًّا مِنْ بَرٍّ ١١٥
- ٤٣ لَا يُلْسَعُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جَحْرِ مَرَّتَيْنِ ١١٦
- ٤٤ لَا نَاقَةَ لِي فِي هَذَا وَلَا جَمَلَ ١١٨
- ٤٥ مَسْمَارٌ جَا ١٢٢
- ٤٦ مُكْرَةٌ أَخَاكَ لَا بَطْلَ ١٢٤

٤٧. مواعيد عرقوب ١٣١
٤٨. وافق شئ طبقة ١٣٤
٤٩. وعند جهينة الخبر اليقين ١٣٨

التمهيد

إنّ كل أمة على وجه هذه البسيطة تمتلك تراثها والذي يعبر عن كثير من الوقائع والمناسبات التي حصلت من خلال التاريخ ، ولعل من أبرز أنواع التراث الأمثال والحكم ، والناس يستعملون هذه الأمثال أو الحكم إذا مرّوا بظرف أو حدث في حياتهم اليومية مشابه للظروف الأصلية التي قيلت فيها تلك الأمثال والحكم ، إذ تجسد أفكار الشعوب وتصوراتها وعاداتها وتقاليدها ومعتقداتها ومعظم مظاهر حياتها في صورة حيّة ، وفي دلالة إنسانية شاملة ، ويمكن عدّه عصارة حكمة الشعوب وذاكرتها الباقية المتقدّمة . فيعبرون عنه بمثل أو حكمة ، وهكذا تبقى محفوظة ويتداولها الناس جيلاً بعد جيل مع إضافة ما استجد من أمثال تعبر عن أحداث الحاضر .

والمثل هو جملة قيلت في مناسبة معينة ، فيتم الاستشهاد بها في كل مناسبة مشابهة ، وحتى تصبح الجملة مثلاً لا بد أن تحتوي على حسن التشبيه والكناية ، وقد برع العرب في حسن التشبيه وصياغة الجمل ، حتى اتخذت كأمثال شهيرة لهم .

والأمثال - أيضاً- : قول موجز ، وهو جمع مثل ، جاء ليعبر عن التشبيه بين شيء ما ، مثل تصور حدث ما يمكن استعماله في موقف مشابه له .

والأمثال ، واحدة من أقدم العادات التي ما زالت تستعمل حتى اليوم ، ويرجع تاريخ بعضها إلى الجاهلية والعصور القديمة .

أمّا عن الأمثال الشعبية فقد كان لها قيمة كبيرة ، إذ أدرك العرب الأوائل قيمة هذا الكنز اللغوي البليغ فتعهدوها بالدراسة والنقل ، وجمعوها في كتب الأمثال ، كي لا تضيع أو

تتدرج، منها على سبيل المثال لا الحصر : مجمع الأمثال
للميداني المستقصى في أمثال العرب للزمخشري ، جمهرة
الأمثال للعسكري .

كما أن بعض الأمثال جرت بين الناس من الشعر
والأقوال على غرار قول الطائي للنعمان (إن غداً لناظره قريب)
أو قول الشاعر الخاسر (من راقب الناس مات همًا) ، فضلاً
عن مئات الأمثال الأخرى التي خرجت من دائرة الاستعمال
اليومي إلى التراث المحفوظ في الكتب .

أسباب انتشار أمثال العرب في عصر ما قبل الإسلام

كان عصر ما قبل الإسلام من أشهر العصور التي اشتهرت بالأمثال ، إذ إنماز هذا العصر ببلاغة العرب ، وجاء انتشار أشهر أمثال العرب في ذلك العصر لأسباب عدة منها :

- إنَّ طبيعة البيئة التي كان يعيشها العرب ، هي أحد العوامل التي أدت لشهرة أمثالهم ، إذ كانت نتاجًا لصدق أقوالهم .
- إنَّها ترتبط بأحداث واقعية ساعدت على سرعة انتشارها.
- صياغة الجمل فيها بشكل جيد ومناسب للحدث الذي يُقال فيه المثل .
- ساعد انتشار الحكم عند العرب ، وبراعة استعمالها وانتقان الخطابة إلى شهرة الأمثال وانتقالها بين الألسنة.

والأمثال الشعبية واحدة من أقدم العادات العربية التي ما زالت تستعمل حتى اليوم ، ويرجع تاريخ بعضها - كما أسلفنا - إلى عصر ما قبل الإسلام والعصور القديمة ، إذ حظيت الأمثال الشعبية بعناية خاصة عند الغرب والعرب على حدٍ سواء ونظرًا لأهميتها في الثقافة العربية فقد بلغت عناية الأدباء العرب بها مبلغًا كبيرًا وكان لها طابع مميز .. أما أهم ما تمتاز به الأمثال في ذلك العصر فيمكن تلخيصها في الآتي :

- قلة استعمال الألفاظ وكثرة المعاني السهلة ووضوحها .
- خلو الأمثال من تكلف البديع .
- الإيجاز في الأسلوب وعدم التطويل .
- جمال صياغة الأمثال وسلاسة العبارات .
- جزالة اللفظ وفصاحته وقوة تأثيره .

المثل عند اللغويين والنحاة

١- النحوي اللغوي أبو إبراهيم الفارابي :

إذ عرف المثل في كتابه الشهير (ديوان الأدب) بقوله :
(المثل ما ترضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه ، حتى
ابتدلوه فيما بينهم وفاهوا به في السراء والضراء ، واستدروا به
الممتع من الدر ، ووصلوا به إلى المطالب القصية ، وتفرجوا
به عن الكرب والمكربة ، وهو من أبلغ الحكمة لأن الناس لا
يجتمعون على ناقص أو مقصر في الجودة أو غير مبالغ في
بلوغ المدى في النفاسة).

٢- أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي :

أمّا العالم النحوي المرزوقي ، فعزّف المثل في كتابه
(شرح الفصيح) بأنه : (جملة من القول مقتضبة من أصلها أو
مرسلة بذاتها ، ففتسم بالقبول وتشتهر بالتداول فتنتقل عما
وردت فيه إلى كل ما يصح قصده بها ، من غير تغيير يلحقها

في لفظها واما يوجه الظاهر إلى أشباهه من المعاني ، فلذلك
تضرب وإن جهلت أسبابها التي خرجت عليها ، واستجيز من
الحذف ومضارع ضرورات الشعر فيها ما لا يستجاز في سائر
الكلام).

٣- الفقيه البصري إبراهيم بن سيار النظام :

إذ قال عن المثل (يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في
غيره من الكلام : إيجاز اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحسن
التشبيه ، وجودة الكناية ، فهو نهاية البلاغة).

٤- الأديب المترجم صاحب كلية ودمنة عبدالله بن المقفع :

فقد أسبغ ابن المقفع المديح للأمثال قائلاً: (إذا جعل
الكلام مثلاً ، كان أوضح للمنطق وأنق للسمع وأوسع لشعوب
الحديث).

٥- العالم النحوي أبو العباس محمد بن يزيد المبرد :

قال في المثل : (المثل مأخوذ من المثل ، وهو قول
سائر يشبه به حال الثاني بالأول ، مثلاً، وما مواعيدها إلاّ
الأباطيل) فمواعيد عرقوب علمٌ لكلِّ ما لا يصح من المواعيد).



أَبْصَرُ مِنْ زَرْقَاءِ الْيَمَامَةِ

إنَّ زَرْقَاءَ اسْمَهَا الْيَمَامَةُ ، وَبِهَا سَمِيَ بَلَدُهَا ، وَهِيَ مِنْ بَنَاتِ لَقْمَانَ بْنِ عَادٍ^(١) ، وَقِيلَ : هِيَ مِنْ جَدِيدِيسَ وَقَصَدَهُمْ طَسْمٌ^(٢) فِي جَيْشِ حَسَّانَ بْنِ تَبَعٍ^(٣) ، فَلَمَّا صَارُوا بِالْجَوْ (وَهُوَ اسْمُ النَّاحِيَةِ الْيَمَامَةِ) عَلَى مَسِيرَةِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أَبْصَرْتَهُمْ ، وَقَدْ حَمَلَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ شَجْرَةً يَسْتَتِرُ بِهَا ، فَقَالَتْ :

أَقْسِمُ بِاللَّهِ لَقَدْ دَبَّ الشَّجَرُ أَوْ حَمِيرٌ قَدْ أَخَذْتُ شَيْئًا تَجْرُ

(١) لَقْمَانَ بْنِ عَادٍ : عَرَفَ بِلَقْمَانَ الْحَكِيمِ ، وَذَلِكَ لِحِكْمَتِهِ وَخَبْرَتِهِ الَّتِي اِكْتَسَبَهَا مِنْ طَوْلِ بَقَائِهِ فِي الدُّنْيَا ، وَيَذْكَرُ أَنَّهُ عَاشَ أَلْفِي سَنَةً وَارْبَعِ مِئَةَ .

(٢) طَسْمٌ وَجَدِيدِيسَ : قَبِيلَتَانِ مِنَ الْعَرَبِ الْبَائِدَةِ الْمَنْسُوبَةِ إِلَى لَأُودِ بْنِ أَرَمِ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ ، سَكَنْتَ شِبْهَ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ .

(٣) حَسَّانَ بْنِ تَبَعٍ : وَهُوَ أَحَدُ الطَّوَافَةِ فِي الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ وَكَانَ مَوْصُوفًا بِالشَّجَاعَةِ وَجُودَةِ الرَّأْيِ وَتَبَعٌ هُوَ لِقَبِ مَلُوكِ مَمْلَكَةِ حَمِيرٍ ، وَيُقَالُ إِنَّهُ (مَلِكٌ سَبَأٌ وَذِي رَيْدَانَ وَحَضْرَمُوتَ وَيَمْنَانَ)

فلم يصدقها قومها ، فقالت أفسم بالله لقد أرى رجلاً
يَنْهَشُ كَتَفًا ، أو يَحْفِئُ نَفْلًا ، فكذبوها ، ولم يستعِدُّوا ،
فصَبَّحهم حَسَانُ فاجتأحهم ، وأخذها فشقَّ عينيها ، وإذا فيها
عُرُوقٌ من الإثمد ، ووصفها الأعشى فقال :

قالت أرى رجلاً في كفه كتفٌ أو يخصيفُ النعل، لهفي أية صنعا
فكذبوها بما قالت فصَبَّحهم ذو آل حسان يَرْجِي الموتَ والشَّرْعَا
ولتوضيح هذه القصة ، فإنها تُعدُّ من أشهر أمثال
العرب ، إذ يحكى أنّ زرقاء من قوم (جديس) ، سميت بالزرقاء
لزرقة عينيها ، امتاكت بصراً حاداً حتى أنها كانت ترى
القادمين قبل وصولهم بثلاثة أيام ! ، وقيل أنها تطحن الإثمد
(الكحل العربي) وتملاً به عينيها .

وفي يوم من الأيام قتلت جديس رجلاً يدعى (طمس)
فراح أهل القتيل إلى الملك حسان التابع اليماني (هو الذي قتله

كليب والوزير سالم^(١) لاحقًا) يسألونه الانتقام لابنهم ، وعندما اقترب التبع من موقع جديس (وكان قد علم عن زرقاء اليمامة حدّة بصرها وذاع صيتها بين العرب أنها ترى الشيء من مسيرة ثلاثة أيام ، أمر رجاله أن يلبسوا أغصان الأشجار كنوع من التمويه ، وبالفعل رأت زرقاء اليمامة أشجار تتحرك فقالت لقومها :

(يا قوم قد أتتكم الشجر ... أو أتتكم حَمِير)

لكنهم لم يصدقوها ، وقالوا فيما بينهم إنّ زرقاء اليمامة لم تعد كما كانت ، بل صارت تتوهم شجرًا يمشي، فباغتهم التبع وجنوده وقضوا عليهم عن بكرة أبيهم ، وقيل أنهم قتلوا

(١) الوزير سالم : كان أصغر من أخيه كليب ، إذ كان يبلغ من العمر ١٠ سنوات عندما صار أخيه كليب سيدًا على قومه بعد مقتل والدهم على يد الملك اليماني .

زرقاء اليمامة واقتلعوا عينيها فوجدوها محشوة بالإثمد ، ومن
قول اليمامة أيضاً :

[أقسم بالله لقد دبَّ الشجر... أو حمير قد أخذت شيئاً يُجر]

أَبْلَغُ مِنْ سَحْبَانَ

وسَحْبَانَ بن زُفَر بن أَياس^(١)، دخل على معاوية وعنده
خُطباء القبائل ، فلَمَّا رأوه خرجوا لِعَلِّمهم بقصورهم عنه ، فقال:

لقد عَلِمَ الحَيُّ الِيمَانُونَ أَنَّنِي إِذَا قُلْتُ أَمَّا بَعْدُ أَنِّي خَطِيبُهَا

قال له معاوية : اخْطُبْ ، فقال : انظروا إلى عصا تُقِيمُ
من أودِي ، فقالوا : وما تصنعُ بها وأنت بحضرة أمير
المؤمنين؟ فقال: وما كان يصنعُ بها موسى وهو يخاطب ربّه !
فأخذها ، فتكلّم من الظُّهر إلى أن فاتت صلاة العصر ، ما
تتخنح ، ولا سعلَ ، ولا تَوَقَّفَ ، ولا ابتدأ في معنى فخرج عنه
وقد بقيت عليه بقيةٌ فيه ولا مالَ عن الجِنس الذي يخاطب

(١) سحبان بن زفر : هو سحبان بن زفر بن إياس الوائلي من باهلة ،
خطيب يضرب به المثل في البيان ، يقال : (أخطب من سحبان) و
(أفصح من سحبان) . أو هو صحابي : كان بليغاً يضرب به المثل
في الفصاحة فيقال : أفصح من سحبان وائل .. (ت: ٥٤هـ/٦٧٤م)

فيه، فقال معاوية: الصلاة الصلاة أَمَامَكَ ، أَلَسْنَا فِي تَحْمِيدِ
وَتَمْجِيدِ، وَعِظَةٌ وَتَنْبِيهِ ، وَتَذْكَيرٍ وَوَعِيدٍ ! فقال معاوية : أَنْتَ
أَخْطَبُ الْعَرَبِ ، قَالَ : أَوْ الْعَرَبِ وَحَدَّهَا ! بَلْ أَخْطَبُ الْجَنِّ
وَالْإِنْسِ ، قَالَ : أَنْتَ كَذَلِكَ .

وهناك أمثلة أخرى ، مثل : أَبْلَغُ مِنْ قُسِّ بْنِ سَاعِدَةَ
الأيادي، فالخطابة اشتهر بها سحبان وائل ، ولبلالغة اشتهر
بها قُسِّ بن ساعدة الأيادي.

وجاء نِكْرُ سَحْبَانَ فِي الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ ، كَقَوْلِ حَمِيدِ
الْأَرْقَطِ^(١) فِي دَمِّ ضَيْفٍ لَهُ :

أَتَانَا وَمَا دَانَاهُ سَحْبَانُ وَائِلٍ بَيَانًا وَعَلَمًا بِالَّذِي هُوَ قَائِلُ
فَمَا زَالَ مِنْهُ اللَّقْمُ حَتَّى كَانَتْهُ مِنَ الْعِيِّ لَمَّا أَنْ تَكَلَّمَ بِأَقِلُّ

(١) حميد الأرقط : واسمه حميد بن ثور بن حزن الهلالي العامري ،
شاعر مخضرم عاش زمنًا في الجاهلية لقبه بالأرقط لآثار كانت
يوجهه.

ويقول أبو الفتح البستي^(١) :

سَحْبَانُ مِنْ غَيْرِ مَالٍ بِأَقْلٍ حَصِرُ

وَبَأَقْلٍ فِي ثَرَاءِ الْمَالِ شَحْبَانُ

(١) أبو الفتح البستي : شاعر ، ولد في (بست) ، وهو أبو الفتح بن عبد العزيز البستي ، ينحدر من اصل عربي (٩٤٢هـ/١٠١٠م) وكانت ولادته في أفغانستان ووفاته في اوزبكستان .

أُتِكَ بِحَائِنٍ (١) رَجُلَاهُ

نادم رجلان من بني أسد النعمان بن المنذر ، أحدهما خالد بن المضلل (٢) والآخر عمرو بن مسعود (٣) ، فأغضباه يوماً ، فأمر بأن يُحْفَرَ لكل واحدٍ حفيرة بظهر الحيرة ، ثم يُحْمَلَا فِي تَابُوتَيْنِ وَيُدْفَنَا فِي الْحَفْرَتَيْنِ ، ففَعِلَ ذَلِكَ بِهِمَا ، حَتَّى إِذَا أَصْبَحَ الْمَنْذِرُ سَأَلَ عَنْهُمَا ، فَأُخْبِرَ بِهَلَاكِهِمَا ، فَندِمَ عَلَى ذَلِكَ وَغَمَّهُ الْخَبْرُ ، وَرثَاهُمَا شَاعِرُ بَنِي أَسَدٍ بِقَوْلِهِ:

(١) الحائِنُ : هو الأحمق

(٢) خالد بن المضلل : هو حاجب بن حبيب بن خالد بن قيس بن المضلل الثعلبي الأسدي ، شاعر جاهلي ، صاحب القصيدة التي مطلعها :

وَبَاتتْ تَلُومٌ عَلَى ثَادِقٍ لِبُشْرَى فَقَدَ جَدَّ عَصِيَانَهَا

(٣) عمرو بن مسعود : هو أخو عروة بن مسعود ، وعاش إلى أن أُسِنَ .

يَا قَبْرُ بَيْنِ بِيوتِ أَلِ مُحَرَّقِ جاءت عليك رواعدٌ وبروقُ
أَمَّا البكاءُ فَقَلَّ عَنْكَ كَثِيرُهُ وَلَئِن بَكَيْتُ فَلِلْبُكَاءِ خَلِيقُ

ثم ركب المنذر ونظر إليهما ، فأمر ببناء الغريين فوق قبرهما وجعل لنفسه يومين في السنة يجلس فيهما عند الغريين ، أحدهما يومٌ نعيمٍ والآخر يومٌ بؤس . فأولُ مَنْ يَطَّلَعُ عليه يوم نعيمٍ يُعْطِيهِ مِئَةً من الإبل ، وأولُ مَنْ يَطَّلَعُ عليه يوم بؤسه يُعْطِيهِ رَأْسَ ظَرَبَانَ أسود ثم يأمرُ به فيذبح ويُعْزِي بدمه الغريان . ثم إنَّ عبيدَ بن الأبرص^(١) كان أولَ مَنْ أُسْرَفَ عليه يومَ بؤسه . فقال له : هَلَّا كان الذَّبْحُ لغيرك يا عبيد .

فقال له : (أنتك بحائنٍ رجلاه) فأرسلها مثلاً .

فقال المنذر : أَوْ أَجَلٌ بَلَغَ أَنَاهُ (أي ميعاده) وأصله

أنأهه، ثم قال له أنشدني فقد كان شعرك يُعجبني ، فقال عبيد :

(١) عبيد بن الأبرص : شاعر جاهلي من أصحاب المعلقات ويعد من شعراء الطبقة الأولى ، قتله المنذر بن ماء السماء حينما وفد عليه في يوم بؤسه .

حال الجريض^(١) دون القريض ، وبلغ الحزائم الطيبين فأرسلهما مثلاً .

ومعنى المثل : إنَّ الأحمق أتاك بنفسه من غير اضطرار كمن يسعى إلى حتفه بظلفه .

وفي قول آخر إنَّ أولَّ من قال المثل : (أَتَتْكَ بِحَائِنِ رجلاه) هو الحارث بنُ جبلة الغساني^(٢) ، قاله للحارث^(٣) بن عَيْفِ العَبْدِي وكان ابن العيف هذا قد هجاهُ ، أي هجا الحارث بن جبلة وكان ابن العيف في جيش المنذر بن ماء السماء ، فقتل المنذر في حربه مع الحارث بن جبلة ، وأسِرَّ ابنُ العيف وأُتِيَ به إلى الحارث ، فقال له: ما الذي أتى بك ؟ فقال ابنُ العيف (أَتَتْكَ بِحَائِنِ رجلاه).

(١) الجريض : هو الريقُّ اليابس في الفم من غمٍّ أو خوف.

(٢) الحارث بن جبلة : هو أحد ملوك غسان ، فارس يوم حليلة إذ انتصر جيشه على جيش المنذر بن امرئ القيس . ملك الحيرة .

(٣) الحارث بن عَيْفِ أبو واقد الليثي العبدي : وهو من بني مرة كان من رؤساء المشركين يوم الأحزاب ، ثم أسلم وحسن إسلامه (ت٦٨هـ) .

إذا كنت ريحاً فقد لاقيت إعصاراً

يُضْرَبُ مَثَلًا لِلْقَوِيِّ يَلْقَى أَقْوَى مِنْهُ .

والإعصار: الريح الشديدة تُثِيرُ الغبار حتى يَتَّصِدَ في

السماء.

الجمع : الأعاصير ، وفي القرآن ﴿ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ

فِيهِ نَارٌ فَاخْتَرَقَتْ ﴾^(١).

ونحو المثل : أَنْ أُرْطَاةَ بِنِ سُهَيْةَ قَالَ لِرِزْمِ بْنِ أَبِيْر :

إِنِّي أَمْرٌ تَجِدُ الرِّجَالَ عِدَاوَتِي وَجَدَ الرُّكَابِ مِنَ الذُّبَابِ الْأَزْرَقِ

فقال له رزم :

مِثْلِي مِنَ الْأَقْوَامِ لَيْتُ خَاذِرٌ وَرَدُّ وَمَا أَنَا بِالذُّبَابِ الْأَزْرَقِ

^(١) سورة البقرة : الآية ٢٦٦ .

فَعَلَبَهُ : ونحوه (١)

إِذَا كُنْتَ جُلْمُودَ صَخْرٍ لَا أُؤَيِّسُهُ (٢) أَوْقَدُ عَلَيْهِ أَحْمِيَهُ فَيَنْصَدِعُ

(١) العباس بن مرداس يخاطب بهما خفاف ابن ندبة .

(٢) لا أُؤَيِّسُهُ : لا أكسره .

إِنَّ الْعَصَا مِنَ الْعُصَيَّةِ

أَوَّلُ مَنْ قَالَ هَذَا الْمَثَلُ هُوَ الْأَفْعَى الْجُرْهُمِيُّ^(١)؛ حِينَما احتكم إليه أبناءُ نِزارِ الأربعةِ ، فكل واحدٍ من الأبناء الأربعة أظهر فِرَاسَةً وَصِدْقَ حَدْسٍ ، فأعجب بهم الأفعى الجُرْهُمِيُّ لنباهتهم فقال : إِنَّ الْعَصَا مِنَ الْعُصَيَّةِ ، وَإِنَّ خُشْيِنًا^(٢) مِنْ أَحْشَنٍ وَالْمُرَادُ أَنَّهُمْ يَشْبَهُونَ أَبَاهُمْ فِي جُودَةِ الرَّأْيِ ، وَقِيلَ إِنَّ الْعَصَا اسْمُ فَرَسٍ لَجَذِيمَةِ الْأَبْرَشِ ، يُقَالُ : إِنَّ قَصِيرًا نَجَا عَلَيْهَا مِنَ الزَّبَاءِ ، وَالْعُصَيَّةُ أَمْ هَذِهِ الْفَرَسُ ، فَالْعَصَا تَحْكِي الْأُمَّ فِي كَرَمِ الْعِرْقِ .

(١) الْأَفْعَى الْجُرْهُمِيُّ : هُوَ كَاهِنٌ وَحَكِيمٌ مِنْ حُكَمَاءِ الْعَرَبِ قَبِيلِ الْإِسْلَامِ ، وَقَدْ قَصَدَتْهُ الْعَرَبُ لِلتَّحْكِيمِ بَيْنَهُمْ ، وَجَعَلَهُ الْمَسْعُودِيُّ مَلَكًا مِنْ مَلُوكِ نَجْرَانَ .

(٢) خُشْيِنٌ وَ أَحْشَنٌ : جِبْلَانٌ أَحَدُهُمَا أَصْغَرُ مِنَ الْآخَرِ .

ويمكن أن يكون المعنى المقصود ، هو أن المرء يكون بحسب الطباع التي ورثها عن والديه ، إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

وفي رواية أخرى ، إنَّ المثل يُضرب في تشبيه الرَّجُل بأبيه ، وأصلُ المَثَل : (العُصَيَّةُ من العَصَا) ، فُقُلِبَ ، أَلَ أن يُراد أن الشيء الجليل يكون في بدئه صغيراً ، كما قيل : (القَرْمُ^(١) من الأفيل) ، وأصلُ المثل أن فُلِحَسًا كان سيِّداً عزيزاً ، يَسْأَلُ سَهْمًا في الجيش وهو في بيته فيُعْطاه ، ثم يَسْأَلُ لبعيره على ما ذكرناه قبل ، ثم نشأ له ابنٌ يُقال له زاهرٌ ، سلك سبيله في ذلك ، فقيل له : (لَعَصَا من العُصَيَّةِ) أي ، أنت من أبيك .

(١) القَرْمُ : الفَحْلُ من الإبل ، والأفيلُ : الصغير منها ، والجمع الإفالُ

اختلط الحابل بالنابل

الحابل : هو الشخص الذي يقوم برمي الرماح في الحرب ، أو هم الجنود الذين كانت مهمتهم إمساك حبال الخيل والجمال .

النابل : هو الشخص الذي يقوم بتسديد السهام في الحرب ، أو هم الجنود رماة السهام والنبال .

كما يُقال : إنّ الحابل هم الجنود الذين يصيدون بالحبال، والنابل هم الجنود الذين يصيدون بالنبال عند اشتداد وطيس المعركة والتحام الجيوش ، وتصاعد الغبار عندها لا يُعرف الحابل من النابل .

ومن أصل المثل ، أن أحد رعاة الأغنام عندما كان يقوم بالتفريق بين الأغنام التي في ضرعها حليب عن تلك التي لا يوجد في ضرعها حليب ، وذلك ليتم بيع تلك الأغنام ، ويحدث في بعض الأحيان أن تختلط تلك الخرفان مع بعضها

بعض ، فيقول الراعي عن تلك الحالة (اختلط الحابل بالنابل)،
وجرى على لسان العامة مجرى الأمثال والحكم الشعبية .

كذلك عند اختلاط الحابل بالنابل ، فلا يعرف من
يمسك الخيل ومن يرمي بالسهام ، من هنا أصبح القول شائعاً
(اختلط الحابل بالنابل) ، أي اختلطت الآراء وتضاربت ولم
تعد واضحة تماماً كما يحدث لدينا الآن ، حيث اختلط المعالي
والأسافل ، ولم نعد قادرين على التمييز بينهم .

مناصب تهب لكل من هب ودب ، وأكارم القوم يركنون
إلى الزوايا ، المعركة محتدمة كما في سوح الوغى ، وقد بلغ
السيل الزبى ، ونحن عاجزون عن التمييز بين (الزين
والشين). تماماً كما قالت العرب اختلط الحابل بالنابل وها قد
التحمت جيوش المصالح واشتد وطيس المعركة وتساعد
الغبار وقد اختلطت الأمور بعضها ببعض واصبح الخيط
الأبيض لا يعرف من الخيط الأسود والعيون أصبحت لا تفرق
بين الألوان وبين ما ترى من الموجودات .

أَخُوكَ مَنْ صَدَقَكَ (النَّصِيحَةَ)

تعني : النصيحة (في أمر الدين والدنيا) وفي صدق
المودَّة ، وله معنى آخر ، وهو أن يصدقك عن عيوبك ، لأنَّ
عيوب كل نفس تستترُّ عنها ، وتظهر لغيرها .

وقيل : (الرجلُ مرآة أخيه) ، يعني : إذا رأى منه ما يكره
أخبره به ونهاه عنه ، ولا يوطنه العَشْوَة (العِشْرَة) ! .
(وقلت :

عَزَّ الكمالُ فما يحظى به أحدٌ فكلُّ خلقٍ وإن لم يدرِ دُو عابٍ
وعلى هذا قالوا : المرءُ مرآة أخيه ، وأخذ بعضهم هذا
الكلام فقال : أنا كالمرآة ألقى كلَّ وجِهٍ بمثاله] .

ارحموا عزيز قوم ذلّ

أرسل رسول الله (ﷺ) جنده إلى طيئ بقيادة علي بن أبي طالب (E) ففرع زعيمهم عدي بن حاتم الطائي ، وهرب إلى الشام ، وكان حينها من أشد الناس عداوة لرسول الله (ﷺ) ، وأخذ الجند الغنائم والخيل والنساء وأسروهم ، وعادوا بهم إلى رسول الله (ﷺ) .

وكان من بين الأسرى سفانة بنت حاتم الطائي ، والتي وقفت بين يدي رسول الله ، وقالت : يا محمد لقد هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فإن رأيت أن تخلي عني ، ولا تشمت بين أحياء العرب ، فإن أبي كان سيد قومه ، نفك العاني ، ونقتل الجاني ، ونحفظ الجار ، ونطعم الطعام ، ونفرج عن المكروب ، ونفشي السلام ، ونعين الناس على نوائب الدهر ، وما أتاه أحد ورده خائبًا قط ، أنا بنت حاتم الطائي ، فقال رسول الله (ﷺ) : والله هذه أخلاق المسلمين ، لو كان أبوك مسلمًا لترحمنا عليه ، وقال اتركوها ، فإن أباهما كان يحب مكارم

الأخلاق ، ففك أسرها هي ومن معها ، إكرامًا لخصال أبيها ، وقال (o) (ارحموا عزيزًا ذلّ وغنيًا افتقر ، وعالمًا ضاع بين جهال) ، فلما سمعت بذلك ، دعت له ، وعادت إلى أخيها عدي بن حاتم الطائي ، وأخبرته عن كرم الرسول وعفوه ، وأنه أرقّ الناس خصالًا ، يحب الفقير ، ويفك الأسير ، ويرحم الصغير ، ويعرف قدر الكبير ، وليس هناك أجود منه ، ولا أكرم ، فلما سمع بذلك عدي ، أدرك أن الإسلام مثل نبيه: يدعو لمكارم الأخلاق .. فقدم إلى رسول الله (o) هو وأخته سفانة ، وأسلما بالله (ﷺ) ، فكانت رحمة النبي بهم هي السبيل لهديهم.

يُعدُّ هذا المثل من أكثر الأمثال المتداولة بين الناس حتى وقتنا هذا ، ويطلق على من أصابته تقلبات الدهر ، ودعته الحاجة إلى الناس فبعد أن كان عزيزًا ذا مال وجاه ، صار خالي اليدين .

وهنا انطلق هذا المثل ليرحم هؤلاء من قسوة الناس وذلكهم .

أريها السُّها وتُريني القَمَر

المثل لابن الغز (١) ، وكان عظيم الذِّكر !! ، فإذا واقع امرأة ذهب عقلها، فأنكرت امرأة ذلك ، وقالت سأجرب ؛ فلما واقعها قال لها : أين السُّها ؟ (وهو كوكب صغير في بنات نَعَشٍ) قالت : ها هو ذا - وأشارت إلى القمر فضحك ، وقال: (أريها السُّها وتُريني القمر) وذلك لأنَّ القمر والسها يلتقيان في كل شهر مرة .

(١) ابن الغز : يقال أنكح من ابن الغز، وهو رجلٌ اختلفوا في اسمه ، فقال : هو سعد بن الغز الأيادي ، وقال ابن الكلبي هو الحارث بن الغز ، وقال عروة بن أشيم الإبادي ، وكان أوفر الناس متاعًا ، وأشدهم نكاحًا . زعموا أن عروسه زفت إليه فأصاب رأس (أيره) !!
جَنبها ، فقالت له : أتهددني بالركبة؟ !!

فلما كان أيام الحجاج^(١) شُكِيَ إليه خرابُ السّواد ، فحرّم
لحوم البقر ليكثر الحرث، فقال بعض الشعراء :

شَكُونَا إِلَيْهِ خَرَابَ السَّوَادِ فحَرَّمَ فِينَا لُحُومَ البَقَرِ
فكان كما قيلَ من قَبَلِنَا أُرِيهَا السُّهَى وَثُرَيْنِي القَمَرِ

وفي رواية أخرى إذ ذكر الشرقي القطامي: كانت في
عصر ما قبل الإسلام امرأة أكملت حُلُقًا وجمالًا ، وكانت تزعمُ
أنَّ أحدًا لا يقدر على جماعها لقوتها ، وكانت بكرًا ، فخاطرها
ابنُ الغَزِّ الأيادي - وان واثقًا بما عنده- على أنه إن غلبها
أعطته مئة من الإبل ، وإن غلبته أعطتها مئة من الإبل ، فلما
واقعتها رأت لمحا باصرًا ورهزًا شديدًا وأمرًا لم تر مثله قط ،
فقال لها : كيف ترين ؟ قالت : طعنا بالركبة يا ابن الغز ؟
قال : فانظري إليه فيك ، قال : القمَر هذا ، فقال : أريها

(١) الحجاج : هو أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي ، قائد وسياسي
أموي ، ولد في الطائف وانتقل إلى الشام قلده عبد الملك بن مروان
أمر عسكره (٤٠-٩٥هـ/٦٦١م-٧١٤م) .

اسْتَهَا وَتُرِينِي الْقَمْرَ ، (فَأَرْسَلَهَا مَثَلًا ، وَظَفَرَ بِهَا ، وَأَخَذَ مِئَةً
مِنَ الْإِبْلِ ، وَبَعْضُهُمْ يَرْوِيهِ : (أَرِيهَا السُّهَاءَ وَتُرِينِي الْقَمَرَ) .
يَضْرِبُ هَذَا الْمَثَلَ ، لِمَنْ يُغَالَطُ فِيمَا لَا يَخْفَى .
أَوْ : لِمَنْ تُخَاطَبُهُ فَيُؤَيِّدُ فِي الْجَوَابِ .

أَسْمَعُ جَعَجَعَةً وَلَا أَرَى طَحْنًا

معناه : أسمع جَلْبَةً وَلَا أرى عملاً

والجعجعةُ هنا الصوت ، وفي موضع آخر الإلجاءُ إلى المَضيق .

يُقال : جَعَجَعَ به ، إذا أَلجأه إلى المَضيق ، قال أبو فُبَيْس بن الأَسَلْت (١) :

مَنْ يَذُقِ الحَبَّ يَجِدُ طَعْمَهَا

مُرًّا وَتَتْرِكُهُ بِجَعَجَاعٍ

والطَّحْنُ بالكسر : الدَّقِيقُ ، وبالفَتْح : المَصْدَرُ مِنْ طَحَنَ طَحْنًا .

(١) أبو فُبَيْس بن الأَسَلْت : وهو من الصحابة والأَسَلْت هو ، لقب أبيه واسمه عامر بن جشم ، من شعراء ما قبل الإسلام .

أشأم من البسوس

البسوس^(١): هي (البسوس بنت منقذ) ، من قبيلة بكر ، وإليها تُنسب حرب البسوس التي وقعت في تهامة ودامت ٤٠ سنة ، وكانت بين قبيلتي تغلب وبكر ابني وائل ومن حالفهما من القبائل العربية ، وانتصرت تغلب في أربع حروب ، وبكر في واحدة ، وتكافأت القبيلتان في حرب واحدة ، ودارت رحى كلِّ معاركها في تهامة ونجد ، في كل صيف في ذكرى وفاة كليب . وكانت البسوس قد خرجت بناقتها في زيارة إلى جساس بن مرة ابن أختها ، وفي أثناء تلك الزيارة خرجت ناقة البسوس لترعى مع إبل جساس ، وحدث أن انطلقت الناقة في

(١) بسوس : بنت منقذ التميمية ، شاعرة ما قبل الإسلام ، يضرب المثل بشؤمها ، خالة جساس بن مرة الشيباني ، كانت لها (أو لجارها) ناقة يقال لها سراب .

أرض كليب بن ربيعة ، وهو زوج جلييلة أخت جساس ، وكان سيد قبيلة تغلب .

ولما عرف كليب أن هذه الناقة الغربية التي اقتحمت أرضه هي ناقة خالة جساس الذي لم يكن يحبه لما تدعيه جلييلة من أنّ أباها يساوي كليب في المنعة والعزة وهو الذي كان يُضرب به المثل في العرب ويقال عنه (أعزّ من كليب) . أمر كليب بقتل الناقة فنارت البسوس ، وأطلقت صيحتها الشهيرة (وا ذلاه) ! مستتجة بجساس كي يثأر لها من كليب، وكان من قوم جساس رجلاً شجاع عاقل وماهر الحرب يسمى الحارث بن عباد^(١) رفض مساعدة قومه في الحرب ، إذ لم يعجبه أن يُقتل كليب وهو سيد قومه في ناقة ، فقال : لن أُشارك في حرب (لا ناقة لي فيها ولا جمل) .

(١) الحارث بن عباد : حكيم وشاعر وسيد من سادات العرب في عصر ما قبل الإسلام ، في أيامه كانت حرب البسوس فاعتزل القتال مع قبائل من بكر (ت ٤٦٤م - ٥٧٠م) .

وأخبرها أنه سيأتي لها بـ (١٠٠) ناقة من نوق تغلب عوضاً عن ناقتها ، فما كان من البسوس إلا أن هجت قومها بشعر وعائرتهم بقلة النخوة والمروءة ، فسقط ذلك في نفس جساس وخرج لقتل كليب (زوج أخته جلييلة) ثم ندم جساس وجاء أبيه أسفاً على فعلته فأشار عليه أبوه بالهرب ، وإلا فإن بكر ستسلمه لتغلب ، فجاء المهلهل بن ربيعة (١) المعروف بالزير سالم - أخو كليب - وطالب أن يمنحوه جساس ليقتله بأخيه ، فقالوا له إنه هرب ، فطلب أن يأخذ همام أخو جساس أو زوجة أبيه عوضاً عنه ، لينتقم من أحدهما لمقتل أخيه ، فرفض بنو بكر ، وقالوا لا نُسلم أحدهما من دون قتال ، فاشتعلت الحرب بين الحيين ، ودامت نحو أربعين عامًا .

(١) المهلهل بن ربيعة : أبو ليلى المهلهل عدي بن ربيعة، شاعر من الأبطال العرب في عصر ما قبل الإسلام ، من أهل نجد وهو خال امرئ القيس ، قيل : لُقّب بالمهلهل ، لأنه أوّل من هلهل نسج الشعر أي رققه ، عكف في صباه على اللهو والتغزل بالنساء ، فسماه أخوه كليب (زير نساء) أي جليسهنّ (ت٤٤٣م-٥٣١م).

وضربت العرب المثل بالبسوس في الشؤم وجعلوها نذير
الخراب ، بسبب ما جرته على العرب آنذاك من ويلات ،
فقليل [أشأم من البسوس]..

أَعْذَرَ مَنْ أَنْذَرَ

أي أقام العُدْرَ مَنْ خَوَّفَ قبل الفعل . ويقال : أَعْدَرَ الرجلُ إذا بلغ أقصى العُدْرَ ، وَعَدَّرَ إذا قَصَّرَ ، وإذا اعتذر ولم يأتِ بعذر . وفي القرآن الكريم : ﴿ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ ﴾ (١) .

وقولهم : مَنْ عذيري من فلان ؟ أي مَنْ يعذرنِي منه ، والعهْذِيرُ : مصدرٌ بمنزلة النكير ؛ فَأَمَّا قول النبي (o) (لن يَهْلِكَ النَّاسُ حَتَّى يُعْذِرُوا) (٢) ، فَإِنَّهُ مِنْ قَوْلِهِمْ : أَعْدَرَ الرَّجُلُ ، إِذَا كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ وَعَيُوبُهُ . وقيل : حَتَّى يُعْذِرُوا مِنْ يُعْذِبُهُمْ أَي يَقِيمُوا لَهُ عُدْرًا ، وَأَمَّا قَوْلُهُمْ : تَعَدَّرَ عَلَيَّ الْأَمْرُ فَمَعْنَاهُ ضَاقَ عَلَيَّ ، وَسُمِّيَتْ الْعُدْرَاءُ عُدْرَاءً لِضَيْقِهَا ، وَيُقَالُ : اعْتَذَرَ الرَّجُلُ ؛ إِذَا أَتَى بِعُدْرٍ ، وَاعْتَدَّرَ ، إِذَا لَمْ يَأْتِ بِعُدْرٍ .

(١) سورة التوبة : الآية ٩٠ .

(٢) الجامع الصغير : ٢١٦/٢ ، عن أحمد وأبي داود .

ومنه قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ ﴾ (١).

وأما قول لبيد :

إلى الحَوْلِ ثم اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا

وَمَنْ يَبِكِ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اعْتَذَرَ (٢)

فمعناه : فقد أتى بعذر .

- ومعناه أيضًا - مَنْ حَذَرَكَ مَا يَحِلُّ بِكَ فَقَدْ أَعَذَرَ إِلَيْكَ،

أي : صار مَعذُورًا عندك .

(١) سورة التوبة : الآية ٩٤ .

(٢) ديوانه : ٢١٤ .

انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً

كان مذهب أهل ما قبل الإسلام أن ينصروا قرناءهم
وجيرانهم وأصدقاءهم ، مُحَقِّين أكانوا أم مُبطلين ؛ وعلى هذا
المذهب يقول الراجز :

إِنَّ أَخَا الصِّدْقِ الَّذِي يَسْعَى مَعَكَ وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ
وَمَنْ إِذَا صَرَفَ زَمَانٍ صَدَعَكَ شَتَّتَ شَمْلَ نَفْسِهِ لِيَجْمَعَكَ

وَإِنْ غَدَوْتَ ظَالِمًا غَدَا مَعَكَ

وقد روى هذا الكلام عن النبي (٥) ؛ فإن كان صحيحاً
فمعناه : إنصر أخاك مظلوماً - وكفَّهُ عن ظلمه إن كان
ظالماً ، فتكون قد نصرته إذا منعته من الإثم ؛ لأنَّ النبي (٥)
لا يأمرُ بنُصرةِ الظالم .

ونحو هذا المعنى قول الشاعر :

وَإِنَّ ابْنَ عَمِّ الْمَرْءِ مَنْ شَدَّ أَرْبَهُ وَمَنْ كَانَ يَحْمِي عَنْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي

وقال الآخر :

لَعْمُرِكَ مَا أَدَى امْرُؤٌ حَقَّ صَاحِبٍ إِذَا كَانَ لَا يَزْعَاهُ فِي الْحَدَثَانِ

وقال آخر :

يَغْشَى مَضْرَبَتَهُ لِنَفْعِ صَدِيقِهِ لَا خَيْرَ فِي وُدِّ إِذَا لَمْ يَنْفَعِ

وقال آخر :

لَا أَحَا لِلْمَرْءِ إِلَّا مَنْ نَفَعِ

(وقلت :

أخوك الذي تُرضيه لا من تودُّه

ألا رَبِّ وُدِّ لَا يُفِيدُ فَتِيلًا)

فقير يُروى عن النبي (o) قال هذا

فقيل : يا رسول الله ، هذا يُنصر مظلومًا ، فكيف

ننصره ظالمًا .

فقال (o) : تُرد عن الظلم

وعن أنس (لفظة أنصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا ،
قال : كيف أنصر ظالمًا، قال: تحجزه عن الظلم فإن ذلك
نصره).

توضيح :

قوله (انصر أخاك ظالمًا) أو مظلومًا. يجوز أن يكون
ظالمًا أو مظلومًا حالين من قوله : أخاك . ويجوز أن يكون
حالين من الضمير المستتر في الأمر ، يعني : انصره ظالمًا
(إن) كنت خصمه ، أو مظلومًا من جهة خصمه ، أي لا
تُسلمه في أي حالٍ كنت .

إِيَاكَ أَعْنِي وَاسْمِعِي يَا جَارَةَ

قصد سهل بن مالك الفُزاري^(١)، النعمان فمرّ بأحياء طيء، وفيها سأل عن سيدها فقالوا الحارثة (حارثة بن لأم)^(٢)، ولما قصد بيت الحارثة، لم يجده، بل وجد أخته، فأدخلته وأكرمته وكانت امرأة جميلة من أشرف قومها، فرغب سهل بها ولم يجد سبيلاً ليقول لها ما يجول في خاطره، فجلس في حديقة البيت ينشد:

يَا أُخْتَ خَيْرِ الْبَدْوِ وَالْحَضَارِهِ كَيْفَ تَرَيْنَ فِي فِتْيِ فِزَارِهِ
أَصْبَحَ يَهْوَى حُرَّةً مِعْطَارِهِ إِيَاكَ أَعْنِي وَاسْمِعِي يَا جَارَةَ

(١) سهل بن مالك الفزاري: رجل من بني فزارة، وكان في طريقه إلى مدينة الحيرة في العراق للالتحاق بالملك النعمان.

(٢) أوس بن حارثة بن لأم: كان سيد قبيلة طيء، وسيد من سادات العرب قبل الإسلام، كان شاعرًا يُضرب به المثل في الكرم، وكان مساويًا لابن عمه حاتم الطائي في الكرم لكن الإعلام لم ينصفه، وينسب إليه قبيلة بني لأم الطائية.

فأرسل قوله مثلاً يراد به قول أمر يقصد به التلميح
فخاطب غير المقصود ، بغير المراد أي يقال لمن يتوجه
بالكلام إلى احد غير المقصود به.

ولهذا المثل حكاية أخرى ...

قال سيّار بن مالك الفزاري لأخت حارثة بن لأم
الطائي، وذلك أنه نزل بها فنظر إلى بعض محاسنها فهويها
واستحيا أن يُخبرها بذلك ، فجعل يُشَبِّبُ بامرأة غيرها ، فلما
طال ذلك ، وضاق ذرعاً بما يجده وقف لها فقال :

كانت لنا من عَطْفَانِ جَارِهِ حَلَالَةٌ ظَعَانَةٌ سَيَّارُهُ
كَأَنَّهَا مِنْ هَيْئَةٍ وَشَارِهِ وَالْحَلِي حَلِي التَّبْرِ وَالْحَجَارُهُ
مَدْفَعٌ مَيْثَاءٌ إِلَى قَرَارِهِ إِيَّاكَ أَعْنِي فَاسْمَعِي يَا جَارُهُ
وَالْحَازِمُ الْعَاقِلُ قَادِرٌ أَنْ يَكْتُمَ كُلَّ شَيْءٍ يَرِيدُ كِتْمَانَهُ ، إِلَّا
الهُوَى فَإِنَّ كِتْمَانَهُ مَمْتَنَعٌ .

إِنَّكَ لَا تَجْنِي مِنَ الشُّوكِ مِنَ الْعِنَبِ

ومعنى المثل إنك لا تجد عند ذي المنبتِ السوء جميلاً،
والمثل من قول أكتف بن صَيْفِي ، يقال : أراد إذا ظُلمتَ فاحذر
الانتصار ، فإنَّ الظلم لا يكسبُكَ إلاَّ مثلَ ذلك .

وفي هذا يقول الشاعر :

إِذَا وَتَّرْتَ امْرَأً فَحَدَّرْ عِدَوَاتَهُ

مَنْ يَزْرِعِ الشُّوكَ لَا يَحْصُدُ بِهِ عِنْبًا

إِيَّكُمْ وَخَضْرَاءَ الدِّمَنِ

وهو كلام النبي (٥) .

والدِّمَنِ : نبتٌ يَنْبُتُ على البحر ، فيروقُ ظاهرُهُ ، وليس في باطنه خير ، وَضَرْبُهُ مثلاً للمرأة الحسنة في منبتِ السُّوءِ ، وَكُرِّهَ ذلكَ لأنَّ عِرْقَ السُّوءِ يَنْزِعُ .

ومثل قول العرب : إِيَّكُمْ وَعَقِيلَةَ الْمَلْحِ ، يعنون الدِّرَّةَ ، وهي تكونُ في الماءِ الملحِ ، ومعناه النَّهي عن نكاحِ الحسنةِ في مَنْصِبِ السُّوءِ .

وأنشد بعضهم قول زُفَرِ بنِ الحارثِ^(١) يعقبُ هذا الخبر :

(١) أبو الهذيل زفر بن الحارث بن عمرو بن كلاب، من الطبقة الأولى من التابعين ، من أهل الجزيرة الفراتية ، وكبير قيس عيلان ، وكان من الأمراء ، وقد شهد موقعة الجمل . أمّا وفاته فقد كانت في خلافة عبد الملك بن مروان ، إذ قال البغدادي : في بضع وسبعين .

وقد يُنْبِتُ المَرْعى على دِمَنِ الثَّرى

وتَبْقَى حَزَازَاتُ النُّفوسِ كما هيا

وقال غيره : ليس هو منه في شيء ، قال : ومعناه أن الدِّمَنَةَ هي الموضع الذي تَبْرُكُ فيه الإبل ، فتبولُ وتبعرُ فيه ، فلا يُنْبِتُ شيئاً ، فإذا أصابته السماء وسَفَتَه الرياح أنبَتَ ، فيقول إن ذلك الموضع قد يُنْبِتُ بعد أن لم يكن يُنبت فيتغير بالنبات ، وتبقى حزازاتُ النفوس لا تتغير .

وقال الشيخ أبو هلال^(١) (ع) : وهذا مثلُ قول صاحب كليلية : لكل حريقٍ مُطْفِئٍ، للنار الماء ، وللسم الدواء ، وللعشق البين ، ونارُ العداوة لا تُخمدُ أبداً بشيء من الأشياء .
وقول الشاعر :

فلا يَغْرَنُكَ أَضْغانٌ مُرْمَلَةٌ قد يُضْرِبُ الدَّبْرُ الدامي بأحلاسٍ

(١) الشيخ أو هلال : هو محمد وكنيته أبو هلال أو لقبه الشيخ الفاضل (ت ٩٨٩هـ - ١٠٥٠هـ) ، وله من العمر ٦٣ سنة نشأ يتيم الأب ، وارتأ عن أهله بعض الماشية التي كانت مصدر معيشته مع أمه .

وتقول العرب : (عِرْقُ السُّوءِ يُنْجِثُ ولو بعد حين). أي
يُستخرج منه ما هو كامنٌ فيه .

قال أكتم بن صيفي^(١): لا يَغْلِبَنَّكُمُ الجمالُ على صراحةِ
النسبِ فإنَّ المناكحَ الكريمةَ مَدْرَجَةٌ للشرفِ.

وقال الشاعر :

فأدركه خالاته فاخترننه

ألا إنَّ عِرْقَ السُّوءِ لا بُدَّ مُدْرِكُ

(١) أكتم الصيفي : أكتم بن صيفي بن رباح الأسدي ، أشهر حكام
العرب في عصر ما قبل الإسلام ، وأحد المعمرين فيها ، وكان سيد
من سادات العرب ، شريفًا ، حكيماً ، وفارسًا شجاعًا ، ومستشارًا
خبيرًا (ت ٦٣٠م).

بالرفاء والبنين

قال أبو عبيد : الرِّفاء : الإلتحام والاتفاق ، مِنْ رَفَيْتُ
الثوب، قالوا : ويجوز أن يكون من رَفَوْتَهُ إِذَا سَكَنْتَهُ ، قال أبو
خِراش الهذلي^(١) :

رَفَوْنِي وَقَالُوا: يَا خُوَيْلِدُ لَا تُرْعَ فَقُلْتُ وَأُنْكِرْتُ الْوَجُوهَ: هُمْ هُمْ
وهنَّأَ بَعْضُهُمْ مَتْرُوجًا فَقَالَ : بالرفاء والثبات والبنين لا
البنات .

ويروى : (بالبنات والثبات) .

(١) خويلدة بن مرة ، من بني هذيل ، من مضر (نحو ١٥٠هـ/٦٣٦م) ،
شاعر مخضرم ، وفارس فاتك ، اشتهر بالعدو ، فكان يسبق الخيل
اسلم وهو شيخ كبير ، وعاش إلى زمن عمر بن الخطاب (E) ، وله
معه أخبار نهشته حياة فقتلته .

إِنَّ الْبُغَاثَ بَارِضًا يَسْتَنْسِرُ

والبغاث : صِغار الطير ، الواحدة : بُغَاثة والجمع بُغْثَان

يَسْتَنْسِرُ: أي يصير نسرًا ، فلا يُقَدَّر على صيده .

قال الشاعر : عباس بن مرداس^(١)

بُغَاثُ الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فِرَاخًا وَأُمُّ الصَّفْرِ مِقْلَاةٌ تَزُورُ

يراد به أن النَّتَاجَ الكَرِيمَ قَلِيلَ ، وقال أَيْمَنُ بنُ حُزَيْمٍ^(٢)

في خلاف ذلك ، وقد غَطَّ...

وَأَنَا قَدْ رَأَيْتُنَا أُمَّ بَشِيرٍ كَأُمِّ الْأَسَدِ مَكْثَارًا وَلُودًا

(١) العباس بن مرداس: وكنيته أبو الهيثم، صحابي وشاعر فارس، يُعد

من المخضرمين ، من سادات قومه بني سليم أدرك عصر ما قبل

الإسلام والإسلامي ، وكان من المؤلفة قلوبهم (ت ٦٣٩هـ) .

(٢) أَيْمَنُ بنُ حُزَيْمٍ : تابعي ، وشاعر وأحد رواة الحديث النبوي كان من

ذوي المكانة (ت ٨٠هـ/٧٠٠م) . وكان من شعراء الدولة الأموية

المجيديين ، ثقة ، أسلم يوم الفتح .

فمدحها بكثرة الأولاد ، وذلك خلافُ المحكيِّ عنهم ،
وكلُّهم حكى أن نتاج الحيوانات الكريمة قليل .
ويضرب هذا المثل للضعيف يصير قويًا ، وللذليل يعزُّ
بعد الدَّل .

أي: يضرب للعزير يعزُّ به الدَّلِيل

الصيد كلّ الصيد في جوف الفرا

هذا مثل قد استعمل في الشعر أيضًا ..

وأصلُ المثل : أنّ ثلاثة أشخاص خرجوا يتصيدون ، فاصطاد أحدهم أرنبًا والثاني ضبيًا والثالث حمارًا ، فأخذ صاحب الأرنب وصاحب الظبي يتناولان على صاحب الحمار ، فقال (كلّ الصيد في جوف الفرا) أيّ إنّ الذي صِدَّتْهُ وهو الفرا أيّ (حمارُ الوحش) يعادل ما صِدَّتْهُما أو يشتمل على الأرنب والظبي .

بمعنى أنه ليس مما يصيده الإنسان أعظم من الحمار الوحشي .

واستأذن أبو سفيان^(١) مرّةً على النبي (صلى الله عليه وسلم) ، فحُجِبَ عن الدخول بعض الوقت، فلما دخل آخِرًا قال

(١) أبو سفيان بن حرب : أبو سفيان صخر بن حرب ، صحابي من سادات قريش قبل الإسلام ، وهو والد معاوية بن أبي سفيان مؤسس

بشيء من الغضب : ما كدت تأذنُ لي حتى تأذنَ لحجارة
الجلهتين (أي جانبي الوادي) ، فقال له الرسول (ﷺ) : يا أبا
سفيان ، أنتَ كما قيل :

(كلّ الصيد في جوف الفرا) ، أي إنني إذا حَبَبْتُكَ أنت
لم يَغْضَبْ كُلُّ محجوبٍ غيرِكَ ، فأنتَ أفضلُ من غيرِكَ .
وكان يريد النبي .. أن يتألّف أبا سفيان على الإسلام .
وقد ورد هذا المثل في أشعار - أيضًا - من ذلك قول
محمود أبو النّناء (١) :

الدولة الأموية ، كان تاجرًا واسع الثراء وزعيم أشراف قريش الذين
عارضوا محمدًا (ﷺ) ودعوته (٥٦٧-٦٥٢ م) .
(١) محمود أبو النّناء : هو شهاب الدين أبو النّناء الألوّسي ، مفسّر
ومحدّث وفقه وشاعر وخطّاط وأديب من المجددين ، شيخ العلماء
في العراق وندارة من النوادر ، وله كتاب قيّم في تفسيره الكبير (روح
المعاني) الذي استغرق تأليفه (١٥) سنة (١٢١٧-١٢٧٠هـ/١٨٠٣-
١٨٥٤م) . يرجع نسبه إلى مدينة آلوس وهي جزيرة في وسط نهر
الفرات في محافظة الأنبار .

يقولون كافات الشتاء كثيرةً

وما هي إلاّ واحدٌ غيرُ مُفترى

إذا صحَّ كاف الكيس فالكل حاصلٌ

لديك وكلُّ الصيدِ يوجد في الفرا

وقال ابنُ عنين^(١) في مدح الملك العادل :

لا تَسْمَعَنَّ حَدِيثَ مَلِكٍ غَيْرِهِ

يُرْوَى، فكلُّ الصيدِ في جوف الفرا

(١) أبو عنين : شاعر في زمن صلاح الدين الأيوبي ، ولد في دمشق

(٥٤٩-٦٣٠هـ/١١٥٤-١٢٤٤م) . وله ديوان : ابن عنين .

الصِفَ ضَيَّعَتِ اللَّبْنَ

وُضِعَ هَذَا الْمَثَلُ فِي الْأَصْلِ لِمَخَاطَبَةِ امْرَأَةٍ ، لِذَلِكَ يُقَالُ :
(ضَيَّعَتِ) ، وَلَكِنَّهُ يَسْتَعْمَلُ - أَيْضًا - لِلرَّجُلِ عَلَى السَّوَاءِ لِأَنَّ
الْمَثَلَ يَبْقَى عَلَى رِوَايَتِهِ بَدُونَ تَغْيِيرٍ .

وَأَصْلُ الْمَثَلِ . أَنَّ عَمْرُو بْنَ عَمْرُو بْنَ عَدُسٍ كَانَ تَزَوَّجَ
ابْنَةَ عَمِّ أَبِيهِ وَاسْمَهَا (دُخْنُوسٌ^(١)) أَوْ (دَخْنُتُوسٌ عَلَى الْأَصَحِّ) ،
بِنْتُ لَقِيْطِ بْنِ زُرَّارَةَ^(٢) بَعْدَ مَا أَسَنَّ ، وَكَانَ أَكْثَرَ قَوْمِهِ مَا لَا
فَكَرِهَتْهُ وَلَمْ تَزَلْ تَطْلُبُ الطَّلَاقَ مِنْهُ حَتَّى طَلَّقَهَا ؛ فَتَزَوَّجَهَا

(١) دَخْنُتُوسٌ : بِنْتُ لَقِيْطِ بْنِ زُرَّارَةَ الدَّارِمِيَّةِ ، مِيْلَادُهَا فِي نَجْدٍ نَحْوِ
(٣٠ ق هـ / نَحْوِ ٥٩٤ م) . شَاعِرَةٌ جَاهِلِيَّةٌ مَجِيْدَةٌ مُحْسِنَةٌ ، مِنْ بَنِي
تَمِيْمٍ وَلَهَا شَعْرٌ كَثِيْرٌ مِنْهُ الْهَجَاءُ وَالْمَدْحُ وَالرِّثَاءُ . تَزَوَّجَتْ ثَلَاثَةَ رِجَالٍ
وَهُمْ أَبُو شَرِيْحٍ عَمْرُو بْنُ عَدَسِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنُ دَارِمٍ وَهُوَ ابْنُ
عَمِّهَا وَعُمَيْرُ بْنُ مَعْبُدِ بْنِ زُرَّارَةَ ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّهَا أَيْضًا .

(٢) لَقِيْطِ بْنِ زُرَّارَةَ : لَقِيْطِ بْنِ زُرَّارَةَ بْنِ عَدَسِ الدَّارِمِيِّ التَّمِيْمِيِّ فَارِسٍ
وَشَاعِرٍ عَرَبِيٍّ كَانَ يُكْنَى أَبُو دَخْنُتُوسٍ فِي السَّلْمِ وَأَبَا نَهْشَلٍ فِي الْحَرْبِ

عُمَيْرُ بنِ مَعْبَدِ بنِ زُرَّارَةَ ، وكان شَابًا ، غيرَ أَنه كان فقيرًا
ليس لديه مالٌ . فمرت بدختوس ذات يوم إبلُ عمرو ، وكانت
هي في شدةٍ واحتياجٍ ، فقالت لفتاةٍ أو امرأةٍ عندها :

قولي له أن يَشَقِنَا من اللبن ، فذهبت إلى عمرو وقالت
له ذلك ، فقال : قولي لها : (الصيفِ ضَيَّعَتِ اللبن) ، فلما
بَلَغها قولُ عمرو ضربت على كتف زوجها وقالت : هذا ومَدَقَّةُ
خير ، وذكرت كلمة (الصيف) في المثل لأنها سألته الطلاق
في الصيف ، فكأنها يومئذ ضَيَّعَتِ اللبن ، وهذا ما ذكره
الحريري في كتابه (درة الغواص) .

وفي حكاية أخرى عن أبي عُبَيْدِ مَعْمَرِ بنِ المُنْتَى^(١) ،
أن دختوس بنت لقيط كانت تحت عمرو بن عمرو بن عَدُسٍ
وكان شيخًا أبرص ، فوضع رأسه يومًا في حجرها ، وأغفى
فسال لعابُه، فانتبَه من نومه ووجدها تتأفف ، فقال لها :

(١) أبو عبد الله معمر بن المثنى التميمي : أديب لغوي مولى بني تيم
من قريش ، ولد في البصرة (١١٠ هـ) وتوفي (٢٠٩ م) .

أَيَسْرِكُ أَنْ أَفَارِقَكَ ؟ قالت : نعم ، ففارقها . ثم تزوجت شاباً
وسيمًا مِنْ بني زُرارة ، واتفق أن بكر بن وائل أغارت على بني
دارم ، فسبوا دَخْتوس ، وقتلوا زوجها ، فلحق بهم عمرو بن
عمرو زوجها السابق ، فقتل ثلاثة منهم واستخلص دَخْتوس
وبعث بها إلى أهلها ، فتزوجت برجل ثالث .

وفي سنةٍ من السنين أُجذب قومها ، فبعثت دَخْتوس
إلى عمرو زوجها الأول تطلب منه حلوبة ، فقال : الصيفَ
ضَيَّعت اللبن ، فذهب قوله هذا مثلاً ، وقالت هذا ومدفئة
خير .

وقال أبو عبيدة في معنى المثل : إِنَّ سؤَالَكَ إِيَّاي
الطلاق قد كان في الصيف ، وحينئذ أنت ضيَّعتِ اللبن
بالطلاق .

وقال بعضهم إِنَّ المعنى أن الرجل إذا لم يُطْرَقِ ماشيته
ضَيَّعَ ألبانها (أطرق الماشية معناه استعار فحلاً لكي تحمل
منه الماشية) .

وقال ابن دُرُسْتُوِيَه : تقول العامة : في الصيف ضَيِّحَتِ اللبن وضَيِّحَ بمعنى خلط بالماء حتى يَرِقَّ ، وذكر أبو سليمان الخطابي^(١) أن هذا المثل يُروى : الصيف ضَيِّحَتِ اللبن (بالحاء بدل العين) أي مَذَقَتِ اللبن بخلطه بالماء .
ويقول الحريري : إنّه يجوز أن يُقال المثل : الصيف ضَيِّعَتِ اللبن (بفتح التاء) أيضاً نقلاً عن ابن الأنباري في (الزاهر) .

وكلمة (الصيف) منصوبة على الظرفية و (عُدُس) اسمٌ ليس في الأسماء على شاكلته ، أمّا الاسم المعروف فهو (عُدَس) و (عُدُس) ، ومثل هذا الاسم (سُلْمَى) فجميع الأسماء (سُلْمَى) إلاّ (سُلْمَى) في زهير بن أبي سُلْمَى وجميع مَنْ في

(١) أبو سليمان الخطابي الشافعي : محدث وفقه وعالم مسلم من كبار أئمة الشافعية ضمن الدولة العباسية، ولد في مدينة (بست) وارتحل وطلب العلم والحديث، توفي في أفغانستان (٣٨٨هـ) .

العرب (فُرَافِصَة) (بالضم) إِلَّا فَرَايِصَة (بالفتح) وهو أبو نائلة
امرأة عثمان بن عفان (E).

ويستعمل هذا المثل للدلالة على التسرع باتخاذ القرار
والتخلي عن النعمة ثم البحث عنها بعد فوات الأوان .

وبالمعنى نفسه يضرب هذا المثل : (لمن يضيع عن
نفسه فرصة ما، ثم يبحث عنه بعد فوات الأوان).

اليوم خمراً وغداً أمر

قائل هذا المثل الشاعر امرؤ القيس ، إذ إنّه كان
مخاصماً لأبيه الملك حجر الكندي^(١)، فلما بلغه خبر مقتل
والده - وكان آنذاك لاهياً ، مخموراً أكثر وقته - قال:
ضيعني صغيراً ، وحمّلتني دمه كبيراً ، لا صحو اليوم
ولا شرب غداً ، (اليوم خمراً وغداً أمرُ) ، فصارت مقولته
مضرباً للمثل .

(١) الملك حجر الكندي : حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر الكندي
آكل المرارة ، ملك وسيد كندة في عصره من ملوك كهلان (٣٨٠-
٤٥٠م).

بلغ السيلُ الزُّبى

الزُّبى : جمع كلمة زُبْيَة ، وهي الحفرة التي تحفر للأسد إذا أرادوا صيده وأصلها أيضًا الرابية التي لا يعلوها الماء ، فإذا بلغها السيل ، كان السيلُ جارِقًا جاحِقًا .

والمثل بهذا المعنى يُضْرَبُ للأمر إذا تفاقم وجاوز الحد، وهنا حكاية يَحْسُنُ إيرادها بمناسبة الكلام على الزُّبْيَة أو الحفرة لصيد الأسد .

فقد ذكروا أنَّ مُعَاذَ بنِ جَبَلٍ^(١) قد أُتِيَ بثلاثة نفرٍ أو أشخاص قتلهم الأسد في زبية ، وطلب إليه أن يُفتي كيف تكون الدية .

(١) معاذ بن جبل : صحابي وفقهه وقارئ القرآن ، وراوٍ للحديث النبوي من الأنصار من بني أدى من بني جشم بن الخزرج ، اسلم وهو ابن ١٨ سنة ، وشهد بيعة العقبة الثانية (ت ١٨هـ) (٦٠٥-٦٣٩م) ، ولُقِّبَ بإمام الفقهاء، وكنز العلماء .

فلم يَدْرِ كيف يُفتى ، فجاء إلى عليّ بن أبي طالب
(كرم الله وجهه) وكان مُحْتَبِيًّا في فناء الكعبة ، فقال : قُضوا
عليّ الخبر ، فقالوا صِدْنَا أسدًا في زُبِيَّة ، فاجتمعنا عليه ،
وحاء الناس وتدافعوا على الزُبِيَّة لرؤية الأسد فَرَمُوا برجل فيها ،
فتعلق الرجل بآخر وتعلق الآخر بثالث فَهَوُوا جميعًا في الزُبِيَّة
على الأسد ، فقتلهم .

فقضى عليّ بالقضية وقال: للأول ربع دية ، وللثاني
نصف دية ، وللثالث دية كاملة ، فأخبر النبي (ﷺ) بهذه الفتوى
فأقرها ... أما قائل : (بلغ السيل الزبى) فلم يكن معروفًا .

ومن الأمثال في هذا المعنى :

١- بلغت الدماءُ الثَّنن ، والثَّنن جمع ثُنَّة وهي الشعرات التي

في مؤخر رَسغ الدابة .

٢- بلغ السكينُ العَظْم .

٣- بلغ منه المخنَّق ، والمخنَّق هو الحنجرة أو الحلق .

كذلك يُروى عن هذا المثل : أن رجلاً صائداً للأسود
حفر زُبِيَّة عميقة على رابية ، وهي المكان المرتفع من الأرض
ثم غطاها بأعواد وأغصان ، ومن ثم نثر عليها رملاً حتى
يخدع طريدته ، ثم وضع عليه طعاماً ليجذب إليه الأسد فإن
طلبه وقع في تلك الزُبِيَّة ، فسهل عليه اصطياده وهو في
مأمن منه ، إلا أنه في ذلك اليوم انفتحت أبواب السماء ،
فأمطرت مطراً غزيراً ، فسالت السيول حتى وصلت إلى تلك
الرابية فغمرت مياهها زُبِيَّته ، فأعقت عليه صيده ، ومنعت
عنه طريدته ، وأسقط في يده ، فقال تلك القولة المشهورة لتي
ذهبت مثلاً حتى يومنا هذا : (بلغ السيل الزبى) .

والمثل هو من الأمثال القديمة ، التي تُقال في الأوقات
التي تصل فيها الأمور إلى حد لا يمكن السكوت عليه ، فينفد
حينها الصبر ؛ لأنه قد كان من غير المتصور أو المتوقع أن
تصل الأمور إلى ذلك الحد ، فإذا حدث ووصلت إلى ذلك

الحد ففي هذه الحالة تكون قد فاقت التوقعات والحسابات ، فلا
يحتمل الصبر حينها، ولا يمكن السكوت عليها.

تَسْمَعُ بِالْمُعِيدِيِّ لَا أَنْ تَرَاهُ

المُعِيدِيُّ : تصغير مَعْدِيٍّ ، والدَّالُّ يُخَفَّفُ وَيُنْقَلُ فِي هَذَا
الْمَثَلِ ، وَالْأَصْلُ التَّنْقِيلُ .

وإِنَّ أَصْلَهُ : هُوَ : أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ يُقَالُ لَهُ
ضَمْرَةٌ^(١) كَانَ يُغَيِّرُ عَلَى مَسَالِحِ (الثَّغُورِ جَمْعُ مَسْلِحَةٍ) عَلَى
النَّعْمَانِ بْنِ الْمَنْذَرِ ، حَتَّى عِيلَ صَبْرُ النَّعْمَانِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ : أَنَّ
أَدْخُلُ فِي طَاعَتِي ، وَلَكَ مِئَةٌ مِنَ الْإِبِلِ ، فَقَبِلَهَا وَأَتَاهُ ، فَلَمَّا
نَظَرَ إِلَيْهِ أَزْدَرَاهُ ، وَكَانَ ضَمْرَةٌ دَمِيمًا فَقَالَ : (تَسْمَعُ بِالْمُعِيدِيِّ
لَا أَنْ تَرَاهُ) فَقَالَ ضَمْرَةٌ : مَهَلًا أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّ الرِّجَالَ لَا

(١) ضَمْرَةٌ : هُوَ ضَمْرَةٌ بِنِ جَابِرِ بْنِ قَطَنِ بْنِ نَهْشَلٍ ، سَيِّدٍ مِنْ سَادَاتِ
بَنِي نَهْشَلِ بْنِ دَارِمٍ ، كَانَ يُغَيِّرُ عَلَى مَسَالِحِ (جَمْعُ مَسْلِحَةٍ) وَهِيَ
الْحَامِيَةُ الْعَسْكَرِيَّةُ لِلْمَنَاذِرَةِ ، وَكَانَ أَحْيَانًا يَنْقُضُ عَلَى أَطْرَافِ مَمْلَكَةِ
الْمَنَاذِرَةِ وَيَنْهَبُ مِنْهَا مَا يَنْهَبُ . (٦٠ ق . م / ٥٦٣ م) . (١٥ ق م
/ ٦٠٨ م) .

يُكَالُونَ يَالصِّيعَانَ ، وَإِنَّمَا الْمَرْءُ بِأَصْغَرِيَّةِ قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ إِنَّ قَاتِلَ
قَاتِلَ بَجْنَانَ ، وَإِنْ نَطَقَ نَطَقَ بَبِيَانٍ ، قَالَ صَدَقْتَ لِلَّهِ دَرْكٌ ،
هَلْ لَكَ عِلْمٌ بِالْأُمُورِ وَوَلَوْجٌ فِيهَا ؟ قَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي لِأَبْرَمُ مِنْهَا
الْمَسْحُولِ ، وَأَنْفُضُ مِنْهَا الْمَفْتُولِ ، وَأُجْلِيهَا حَتَّى تَجُولِ ، ثُمَّ
أَنْظُرُ إِلَى مَا تَقُولُ ، وَلَيْسَ لِلْأُمُورِ بِصَاحِبٍ مَنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي
الْعَوَاقِبِ .

قَالَ : صَدَقْتَ لِلَّهِ دَرْكٌ ! فَأَخْبَرَنِي مَا الْعَجْزُ الطَّاهِرُ ،
وَالْفَقْرُ الْحَاضِرُ وَالِدَاءُ الْعِيَاءُ ، وَالسَّوَاءُ السَّوَاءُ ؟ قَالَ ضَمْرَةٌ :
أَمَّا الْعَجْزُ الطَّاهِرُ فَهُوَ الشَّابُّ قَلِيلُ الْحِيلَةِ ، اللَّزُومُ لِلْحَالِيَةِ
الَّذِي يَحُومُ حَوْلَهَا ، وَيَسْمَعُ قَوْلَهَا ؛ إِنْ غَضِبَتْ تَرْضَّاهَا ، وَإِنْ
رَضِيَتْ تَفْدَّاهَا ، وَأَمَّا الْفَقْرُ الْحَاضِرُ ، فَالْمَرْءُ لَا تَشْبَعُ نَفْسُهُ ،
وَإِنْ كَانَ مِنْ ذَهَبٍ خَلِسُهُ ، وَأَمَّا الدَّاءُ الْعِيَاءُ فَجَارُ السَّوَاءِ .

إِنْ كَانَ فَوْقَكَ قَهْرُكَ ، وَإِنْ كَانَ دُونَكَ هَمْرُكَ ، وَإِنْ
أَعْطَيْتَهُ كَفْرَكَ ، وَأَنْ مَنَعْتَهُ شَتْمَكَ ، فَإِنْ كَانَ ذَاكَ جَارَكَ فَأَخْلِ

له دَارَكَ وَعَجَّلَ مِنْهُ فِرَارَكَ ، وَإِلَّا فَأَقِمَّ بُذَلٍ وَصَغَارَ ، وَكُن
ككَلْبِ هَرَّارٍ .

وَأَمَّا السَّوَأَةُ السَّوَاءُ فَالْحَلِيلَةُ الصَّخَابَةُ ، الْخَفِيفَةُ الْوَثَابَةُ ،
السَّلِيظَةُ السَّبَابَةُ الَّتِي تَعَجَبُ مِنْ غَيْرِ عَجَبٍ ، وَتَغْضِبُ مِنْ
غَيْرِ غَضَبِ الظَّاهِرِ عَيْبُهَا ، الْمَخُوفُ غَيْبُهَا ، فَزَوْجُهَا لَا
تَصْلُحُ لَهُ حَالٌ ، وَلَا يَنْعَمُ لَهُ بِأَلٍ إِنْ كَانَ غَنِيًّا لَمْ يَنْفَعَهُ غِنَاهُ ،
وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا أَبَدَتْ لَهُ قِلَاهُ ، فَأَرَاخَ اللَّهِ مِنْهَا بَعْلُهَا ، وَلَا مَتَّعَ
بِهَا أَهْلَهَا ، فَأَعْجَبَ النِّعْمَانَ حُسْنَ كَلَامِهِ ، وَحَضُورَ جَوَابِهِ ،
فَأَحْسَنَ جَائِزَتَهُ وَاحْتَسَبَهُ قَبْلَهُ .

جاء يكحلها عماها

يُروى إنَّ كلبًا كان قد نشأ في قصر أحد الأثرياء ،
وكانت معه في القصر قطة جميلة ، فنشأت بينه وبينها ألفة
ومودة وصداقة ومحبة ، فنظر الكلب يومًا إلى القطة ، فرأى
عينيها ، وما هما عليه من الكحل والحسن والجمال ، فسألها
أرى عينيك جميلتين ، فما سرّ جمالها؟ .

فقالت القطة : لوجود هذا الكحل فيهما ، فقال الكلب
ومن كحلها؟ .

فقالت له لا أدري إنهما هكذا منذ خلقت ، فأصابت
الكلب غيرة شديدة ، وقرر أن يكحل عينيه ببعض الكحل حتى
تكون جميلتين كعيني القطة ، فأحضر شيئًا من الكحل ،
ووضعه على أصبعه ، وأدخله في عينيه ليكحلها ، فدخل
مخاب أصبعه في عينه ففقأها ، فَتَلَفَتْ عينه ، وذهب بصرها.

ذاع ذلك الخبر بين الناس ، فقالوا فيه هذا المثل وعجبوا من
سخف عمله وغفلته على الرغم من ذكائه ومهارته .

جزاؤه جزاء سنمار

سنمار : بَنَاءٌ مجيدٌ من بلاد الروم ، استدعاه النعمان الأول ابن امرئ القيس ملك الحيرة كي يبني له قصرًا (الخورنق) بظهر الكوفة ، فحضر سنمار مع بَنَائِهِ ، وبعد تفكير طويل وجد رسمًا جميلًا للبناء ، فبنى القصر على مرتفع قريب من الحيرة، حيث تحيط به البساتين والرياض الخضراء وكانت المياه تجري من الناحية العليا من النهر على شكل دائرة حول أرض القصر ، وتعود إلى النهر من الناحية المنخفضة .

وبعد ان تم البناء على أجمل ما يكون سعد النعمان وحاشيته ومعهم سنمار إلى سطح القصر ، فشاهد الملك المناظر الخلابة وأعجبه البناء ، فقال : (ما رأيت مثل هذا البناء قط) ، فأجاب سنمار (لكنني أعلم موضع آجرّة لو زالت لسقط القصر كله ، فسأله الملك : (أيعرفها أحد غيرك؟) ،

فقال سنمار : (لو عرفت أنكم توفونني وتصنعون بي ما أنا أهله لبنيت بناء يدور مع الشمس حيثما دارت) . فاستقر في نفس الملك أنه لا يجوز أن يظل حياً من يعرف موضع هذه الآجرة ومن يستطيع أن يبني أفضل من هذا القصر ، ثم أمر بقذف سنمار من أعلى (الخورنق) فانكسرت عنقه ومات .

فاتخذت العرب مما صنعه النعمان بسنمار مثلاً بين الناس ، يُقال :

(جزاؤه جزاء سنمار) ، وهو مثل يُعطى عندما يقوم شخص بعمل جيد ولكن يقابله إساءة .

أو : لمن يُجزى بالإحسان الإساءة .

وفي هذا يقول الشاعر :

جَزَتْنا بَنُو سَعْدٍ لِحُسْنِ فِعالِنِا

جَزاءَ سِنِمارٍ وما كان ذا ذَنْبٍ

وقال آخر

جَزَانِي جَزَاهُ اللَّهُ شَرَّ جَزَائِهِ

جَزَاءَ سِنِمَّارٍ بَمَا كَانَ قَدَمًا

وفي هذا يقول أبو النضر محمد بن السائب الكوفي^(١)

(كما في ابن خلكان) أو عبد العزى بن امرئ القيس (كما في

آمالي القالي)، أو البُرَيْقُ كما في معجم الشعراء :

جَزَانِي جَزَاهُ اللَّهُ شَرَّ جَزَائِهِ جَزَاءَ سِنِمَارٍ وَمَا كَانَ ذَا ذَنْبٍ
سَوَى رَضِيهِ الْبُنْيَانِ سَتِينَ حِجَّةً يَغْلُّ عَلَيْهِ بِالْقَرَامِيدِ وَالسَّكَبِ
فَلَمَا رَأَى الْبُنْيَانَ تَمَّ شُهُوقُهُ وَأَصَّ كَمَثَلِ الطَّوْدِ وَالشَّامِخِ الصَّغْبِ
وظَنَّ سِنِمَّارًا بِهِ كُلَّ حَبْوَةٍ وَفَازَ لَدَيْهِ بِالْمَوْدَةِ وَالْمُقْرَبِ
فَقَالَ اقْدِفُوا بِالْعِلْجِ مِنْ فَوْقِ رَأْسِهِ فَهَذَا لَعَمْرُ اللَّهِ مِنْ أَعْجَبِ الْخَطْبِ

(١) أبو النضر محمد بن السائب الكوفي : وهو من أصحاب أبي

جعفر الباقر وأبي عبد الله الصادق (X) ، والمتوفي عام (١٤٦هـ) ،

وهو والد هشام الكلبي النسابة الشهير وصاحب التفسير الكبير الذي

هو أبسط التفسير كما اذعن به السيوطي في الإتيان .

والناس يقولون في هذا المعنى :

جازاه مجازاة التَّمساح ، ويحكون أَنَّ التَّمساحَ يأكل اللحم
فَيَدْخُلُ في خلال أسنانه فيفتح فاهُ فيجيء طائر فيسقطُ عليها،
فيخَلُّها ويأكلُ اللَّحْمَ ، فيكون طعامًا للطائر ، وراحةً للتَّمساح ،
فربُّما ضمَّ التَّمساحُ فاه على الطائر فيقتلهُ.

وروي في خرافةً فتركَّتها (وأعجبُ من هذا الطائر طائرٌ
يطير في البحر ، ويتَّبَعُهُ طائرٌ صغير ، لا يفارقه حيثُ
ذهب، فإذا أضجَره ذَرَقَ فلا يُخْطئُ فمه ، فيبتلعه وينصرف
ويتركه) .

جَوْعُ كَلْبِكَ يَتَّبِعُكَ

أَوَّلُ مَنْ قَالَ هَذَا الْمِثْلَ مَلِكٌ مِنْ مَلُوكِ حِمْيَرَ، وَهِيَ قَاعِدَةٌ سِيَاسِيَّةٌ بَحْتَةٌ، تَتَّبَعُهَا غَيْرُهُ مِنَ الْمُلُوكِ، إِذْ كَانَ الْمَلِكُ الْحَمِيرِيُّ عَنيفًا عَلَى أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ظَالِمًا، يَسْلُبُ النَّاسَ أَرْزَاقَهُمْ وَيَجْعَلُهُمْ بِالْكَادِ يَأْكُلُونَ، وَكَانَتِ الْكَهَنَةُ تُخْبِرُهُ أَنَّهُمْ سَيَقْتُلُونَهُ، وَلَمْ يَحْفَلْ بِالنَّصْحِ الَّذِي يَأْتِيهِ مِنْ مُسْتَشَارِيهِ - أَيْضًا -، فَلَمَّا جَاءَتْهُ زَوْجَتُهُ وَقَدْ رَقَّ قَلْبُهَا لِحَالِ النَّاسِ أَوْ خَافَتْ مِنْهُمْ فَقَالَتْ لَهُ: إِنِّي لِأَرْحَمُ هَؤُلَاءِ لَمَّا يَلْقَوْنَ مِنَ الْجَهْدِ وَنَحْنُ فِي الْعَيْشِ الرَّغِيدِ، وَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكُونُوا أَشْيَاعًا، وَقَدْ كَانُوا أَتْبَاعًا، فَأَجَابَهَا الْمَلِكُ:

[جَوْعُ كَلْبِكَ يَتَّبِعُكَ]

إِذْ ذَهَبَ مِثْلًا .

وَيُضْرَبُ هَذَا الْمِثْلُ فِي مَعَاشِرَةِ اللَّئَامِ، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَعَامِلُوا بِهِ.

حَرَامًا يَرْكَبُ مِنْ لَا حَلَالَ لَهُ

أَوْ (حَرَامُهُ...)

يحكى أن جُبَيْلَةَ بن عبد الله أغار على إبل يملكها جُرَيْبَةَ ابن أوس بن عامر يوم مَسْلُوق ، وكان من بين الإبل ناقة مما يحرم عرب الجاهلية ركوبها ، فتركها المغيرون ولم يأخذوها فيما أخذوه، وكان راعي الإبل هو ابن أخت صاحبها ، فركض إلى خاله يخبره بالأمر ، فقال له :

رَدَّ عَلَيَّ تِلْكَ النَّاقَةَ أَرْكَبُهَا .

فأجابه الراعي : يا خال إنَّها حرام !

فقال جرية : حرامًا يركب من لا حلال له .

ذهبت مثلاً ، إذ يستعمل هذا المثل عندما يكون الإنسان مضطراً لفعل شيء ما لعدم وجود خيار آخر ، كأن يسرق ليأكل فيقول : (حرامًا يأكل من لا حلال له).

خُذِ الْحِكْمَةَ مِنْ أَفْوَاهِ الْمَجَانِينِ

توفي أحد الأثرياء في بلد بعيد عن بلده ووصل خبر وفاته إلى أولاده وحدد ولده الكبير يوماً للعزاء ، ولكن أخوته طالبوا بالميراث ، فقال انتظروا حتى تنتهي من مراسيم العزاء ، فرفضوا ، وقالوا بل نقسم التركة اليوم ، قال : ماذا تقول الناس علينا لم نصبر ؟ فرفض مطالبهم فذهبوا إلى المحكمة ، وأقاموا دعوة عليه ، وأرسل له طلب القاضي للحضور ماذا يفعل ؟

ذهب إلى أحد عقلاء البلد يستشيريه ، وكان صاحب رأي سليم ، فسرده عليه القصة ، وقال : انظر ، لي مخرج ، قال له الحكيم ، اذهب إلى فلان سوف يفتيك ويعطيك الحل ، قال له: إن فلاناً مجنون كيف يحل مشكلة عجز في حلها العقلاء!؟

قال : اذهب إليه لن يُفتيك غيره ، فذهب إليه وسرده عليه القصة وبعد الانتهاء من كلامه ، قال له المجنون : قل

لأخوتك هل عندكم من يشهد بأن أبي قد مات ، قال : (خذوا
الحكمة من أفواه المجانين) .

كيف لم أفكر في هذا ، وذهب إلى المحكمة، وقال
للقاضي ما قال له المجنون ، قال القاضي : إنك محق هل
عندكم شهود ؟ قالوا أبينا توفي في بلد بعيد وجاءنا الخبر ولا
يوجد شاهد على ذلك .

قال لهم القاضي : أتوا بالشهود ..

وظلت القضية معلقة إلى سنة ونصف !!

رُبَّ أَخٍ لَكَ لَمْ تَلِدْهُ أُمُّكَ

وأصل هذا المثل في إعانة الرجل صاحبه ، وانصابه في هواه ، وانخراطه في سلكه ، حتى كأنه أخوه لأبيه وأمه ، ويقولون : إنَّ أخاك من آساک ، وقيل الرجل : ممَّن أنت ؟ قال : ممَّن برّني ، وهو على حسب قول الأعشى :

فإنَّ القريبَ من يُقربُ نفسه لَعمرُ أبيكَ الخَيْرُ لا منْ تَنسَبُ

وقال أبي بن حُمام بن جابر :

أعاذلتني كم من أخٍ لي أودُّه كريمٍ عليّ لم يلدني والدُّه
إذا ما التقينا لم تريني ألدُّه ولكنني مثنٍ عليه وزائدُّه
وآخر أصلي في التناصب أصلُّه يُباعدني في رأيه وأباعده
يودُّ لو أنني كنت أول فاقِد وأيضا أودُّ الودَّ أنني فاقِدُه

ويعني به الصديق ؛ فإنه ربما أربى في الشفقة على الأخ
من الأب والأم .

رَبِّ أَكَلَةٍ تَمْنَعُ أَكَلَاتٍ

أَوَّلُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ عَامِرُ بْنُ الظَّرْبِ العَدَوَانِيُّ^(١)، وَكَانَ مِنْ حَدِيثِهِ أَنَّهُ كَانَ يَدْفَعُ بِالنَّاسِ فِي الْحَجِّ ، فَرَأَاهُ مَلِكٌ مِنْ مَلُوكِ غَسَّانَ ، فَقَالَ لَا أَتْرِكُ هَذَا العَدَوَانِيَّ أَوْ أَذِلَّهُ ، فَلَمَّا رَجَعَ الْمَلِكُ إِلَى مَنْزِلِهِ أَرْسَلَ إِلَيْهِ : أَحِبُّ أَنْ تَزُورَنِي فَأُخْبِرَكَ وَأُكْرِمَكَ وَاتَّخِذْكَ خَلًّا ، فَأَتَاهُ قَوْمُهُ فَقَالُوا :

تَقْدُ وَيَقْدُ قَوْمُكَ إِلَيْهِ ، فَيَصِيبُونَ فِي جَنْبِكَ وَيَتَجَيَّهُونَ بِجَاهِكَ فَخَرَجَ وَأَخْرَجَ مَعَهُ نَفَرًا مِنْ قَوْمِهِ ، فَلَمَّا قَدِمَ بِلَادَ الْمَلِكِ أَكْرَمَهُ وَأُكْرِمَ قَوْمَهُ ، ثُمَّ انْكَشَفَ لَهُ رَأْيُ الْمَلِكِ فَجَمَعَ أَصْحَابَهُ فَقَالَ : (الرَّأْيُ نَائِمٌ وَالْهَوَى يَقْظَانُ) ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ يَغْلِبُ

(١) عَامِرُ بْنُ الظَّرْبِ العَدَوَانِيُّ ، قَاضٍ مِنْ قِضَاةِ الطَّائِفِ مِنْ حَنْفَاءِ الْعَرَبِ وَأَثْمَتِهِمُ الَّذِينَ تَحَاكَمُ إِلَيْهِمُ النَّاسُ وَصَارَتْ أَحْكَامُهُمْ قَانُونًا يَحْتَكِمُونَ إِلَيْهِ ، وَأَحَدُ حُكَمَاءِ الْحِجَازِ وَأَشْرَافِهِمْ ، يَنْتَمِي إِلَى قَبِيلَةِ عَدَوَانَ الْمَعْدِيَةِ العَدْنَانِيَّةِ الْحِجَازِيَّةِ (٣٧٠م-٤٥٥م).

الهُوَى الرَّأْيِ، عَجَلْتُ حِينَ عَجَلْتُمْ ، وَلَنْ أَعُودَ بَعْدَهَا ، إِنْ قَدْ
تَوَرَّدْنَا بِلَادِ هَذَا الْمَلِكِ ، فَلَا تَسْبِقُونِي بِرَيْثِ أَمْرِ أُقِيمُ عَلَيْهِ وَلَا
بِعَجَلَةٍ رَأَيْ أَحْفُ مَعَهُ ، فَإِنَّ رَأْيِي لَكُمْ ، فَقَالَ قَوْمُهُ لَهُ : قَدْ
أَكْرَمْنَا كَمَا تَرَى ، وَبَعْدَ هَذَا مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ .

قال : لَا تَعْجَلُوا فَإِنَّ لِكُلِّ عَامٍ طَعَامًا ، وَرُبَّ أَكْلَةٍ تَمْنَعُ
أَكْلَاتٍ ، فَمَكثُوا أَيَّامًا ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِ الْمَلِكُ فَتَحَدَّثَ عِنْدَهُ ، ثُمَّ
قَالَ لَهُ : الْمَلِكُ قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَجْعَلَكَ النَّاطِرَ فِي أُمُورِي ، فَقَالَ
لَهُ : إِنَّ لِي كَنْزَ عِلْمٍ لَسْتُ أَعْلَمُ إِلَّا بِهِ ، تَرَكْتُهُ فِي الْحَيِّ
مَدْفُونًا ، وَإِنَّ قَوْمِي أَضْنَاءَ بِي ، فَارْتَبْتُ لِي سَجَلًا بِجَبَابِيَةِ
الطَّرِيقِ فَيَرَى قَوْمِي طَمَعًا وَتَطْيِبُ بِهِ أَنْفُسَهُمْ ، فَاسْتَخْرَجَ كَنْزِي
وَأَرْجَعُ إِلَيْكَ وَافِرًا ، فَكَتَبَ لَهُ بِمَا سَأَلَ ، وَجَاءَ إِلَى أَصْحَابِهِ
فَقَالَ :

أُرْتَحِلُوا ، حَتَّى إِذَا أَدْبَرُوا قَالُوا : لَمْ يُرْ كَالْيَوْمِ وَافِدُ قَوْمِ
أَقَلِّ وَلَا أَبْعَدُ مِنْ نَوَالٍ مِنْكَ ، فَقَالَ : مَهْلًا ، فَلَيْسَ عَلَى الرَّزْقِ

فَوْتٌ ، وَغَنَمٌ مَنْ نَجَا مِنَ الْمَوْتِ ، وَمَنْ لَمْ يُرَ بِاطْنًا يَعِشْ وَاهِنًا
فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى قَوْمِهِ أَقَامَ فَلَمْ يَعُدْ .

يُضْرَبُ مِثْلًا لِلْحَصَلَةِ مِنَ الْخَيْرِ تُنَالُ عَلَى غَيْرِ وَجْهِ
الصَّوَابِ ، فَتَكُونُ سَبَبًا لِمَنْعِ أَمْثَالِهَا .

وَيُضْرَبُ - أَيْضًا - فِي ذِمِّ الْحَرِصِ عَلَى الطَّعَامِ .

رُبَّ رَمِيَةٍ مِنْ غَيْرِ رَامٍ

وهذا مثل معروف ، يقال إِنَّ الْحَكَمَ بْنَ عَبْدِ يَغُوثَ
الْمِنْقَرِيِّ^(١) كَانَ رَمَّاهُ أَوْ أَرْمَى أَهْلَ زَمَانِهِ ، وَحَلَفَ يَوْمًا أَنْ يَذْبَحَ
مِهَابَةَ (البقر الوحشي) بَعْدَ أَنْ يَقْتُلَهَا رَمِيًّا بِسَهْمِهِ فَخَرَجَ ، وَلَكِنَّهُ
لَمْ يُؤَفِّقْ طَوِيلَ يَوْمِهِ ، فَعَادَ كَاشِفَ الْوَجْهِ كَثِيبًا ، وَبَاتَ لَيْلَتَهُ
عَلَى ذَلِكَ ، فَلَمَّا كَانَ فِي الصَّبَاحِ خَرَجَ إِلَى قَوْمِهِ وَقَالَ : إِنْ لَمْ
أَذْبَحْهَا الْيَوْمَ فَإِنِّي قَاتِلٌ نَفْسِي . فَقَالَ لَهُ أَخُوهُ الْحُصَيْنُ : يَا
أَخِي اذْبَحْ مَكَانَهَا عَشْرًا مِنَ الْإِبِلِ ، وَلَا تَقْتُلْ نَفْسَكَ . فَقَالَ :
كَلَّا! لَا أَظْلُمُ عَاقِرَةً وَاتْرُكُ نَافِرَةً . فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ وَاسْمُهُ الْمُطْعَمُ ،
يَا أَبِي احْمَلْنِي مَعَكَ أَرْفِدُكَ ، فَقَالَ ، وَمَا أَحْمِلُ مِنْ رَعِشٍ وَهَلِ
جَبَانٍ فَشَلٍ ! فَضَحَ الْغُلَامُ وَقَالَ إِنَّ لَمْ تَرَ أَفْلَاذَها تُخَالِطُ
أَمْشَاجَها فَاجْعَلْنِي وَدَاجِها ، فَاَنْطَلَقَا ، وَإِذَا هُمَا بِمِهَابَةَ ، فَرَمَاهَا

(١) كَانَ أَرْمَى أَهْلَ زَمَانِهِ (فِي عَصْرِ مَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ) وَهُوَ مِنْ بَنِي

مَنْقَرٍ .

الحكم فأخطأها ، ثم مرت به أخرى ، فرماها فأخطأها ، فقال ابنه المطعمُ : يا أبي أحمد بحمدك ، فإنَّ سَهْمِي سَهْمُكَ اعطني القوس ! فأعطاه إِيَّاه ، فمرت به مهاةً فرماها فلم يُخطئها ، فقال أبوه : (رَبِّ رَمِيَةٍ مِنْ غَيْرِ رَامٍ) ، فصارت مثلاً يُضْرَبُ لِمَنْ يُصِيبُ وَهُوَ غَيْرُ رَامٍ ، أو لا يُحْسِنُ الرَّمَايَةَ .
أو يضرب - أيضًا - عندما يتفق الشيء لمن ليس من شأنه أن يصدر منه .

كذلك يُضْرَبُ لِلَّذِي يُخْطِئُ مَرَارًا وَيُصِيبُ مَرَّةً .

رَجَعَ بَخْفِي حُنَيْنٍ

أصله أَنَّ حُنَيْنًا كَانَ اسْكَافِيًّا ، مِنْ أَهْلِ الْحَيْرَةِ ، فَسَاوَمَهُ
أَعْرَابِيٌّ بِخَفَيْنٍ ، فَاخْتَلَفَا حَتَّى أَعْضَبَهُ ، فَأَرَادَ (حُنَيْنٍ) غَيْظَ
الْأَعْرَابِيِّ ، فَلَمَّا ارْتَحَلَ الْأَعْرَابِيُّ أَخَذَ (حُنَيْنٌ أَحَدَ) خُفَّيْهِ فَطَرَحَهُ
فِي الطَّرِيقِ ، ثُمَّ أَلْقَى الْآخَرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ ، فَلَمَّا مَرَّ
الْأَعْرَابِيُّ بِأَحَدِهِمَا قَالَ : مَا أَشْبَهَ هَذَا الْخَفَّ بِخَفِّ حُنَيْنٍ وَلَوْ
كَانَ مَعَهُ الْآخَرَ لِأَخَذْتَهُ ! وَمَضَى فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الْآخَرِ نَدِمَ
عَلَى تَرْكِهِ الْأَوَّلِ ، وَقَدْ كَمَنَّ لَهُ حُنَيْنٌ ، فَلَمَّا مَضَى الْأَعْرَابِيُّ
فِي طَلَبِ الْأَوَّلِ عَمَدَ حُنَيْنٌ إِلَى رَاحِلَتِهِ وَمَا عَلَيْهَا فَذَهَبَ بِهَا ،
فَأَقْبَلَ الْأَعْرَابِيُّ وَوَلِيَ مَعَهُ إِلَّا الْخُفَّانَ ، فَقَالَ لَهُ قَوْمُهُ : مَاذَا
جِئْتَ بِهِ مِنْ سَفْرِكَ ؟ فَقَالَ : (جِئْتُكُمْ بِخُفِّي حُنَيْنٍ) فَذَهَبْتُ مَثَلًا .

وقال ابن السكيت^(١): حُنَيْنٌ كان رجلاً شديداً ادَّعى إلى
أسد بن هشام بن عبد مناف ، فأتى عبد المطلب وعليه خُفَّان
أحمران ، فقال : يا عمّ أنا ابنُ أسد بن هشام ، فقال عبد
المطلب : لا وثياب ابن هاشم ، ما أعرف شمائل هاشم فيك ،
فارجع ، فارجع ، فقالوا (رجع حُنَيْنٌ بخفيه) فصار مثلاً :
ويُضرب هذا المثل عند اليأس من الحاجة والرجوع
بالخيبة.

(١) ابن السكيت : إمام من أئمة اللّغة العربية ، وعالم نحوي وأديب
شهير ، اشتهر بتشيّعه ، يكنى بأبي يوسف يعقوب بن اسحاق بن
السكيت الدروقي الأهوازي البغدادي النحوي المؤدب ، مؤلف كتاب
(إصلاح المنطق) أخذ عن أبي عمرو الشيباني (١٨٦-
٢٤٤هـ/٨٠٢-٨٥٨م) ، ومن مؤلفاته : إصلاح المنطق ، كنز
الحفاظ في كتاب تهذيب الألفاظ ، كتاب تهذيب الألفاظ : أقدم معجم
في المعاني .

سَبَقَ السِّيفُ الْعَدْلَ

وأول من قال هذا المثل هو ضَبَّةُ بن أُدِّ الْمُضَرِّي (١) وكان له ابنان: سَعْدٌ وسُعَيْدٌ وحدث أن نَفَرَتْ إِبِلٌ لَضَبَّةَ في الليل فأرسل ابنيه في طلبهما ، فوجدَها سَعْدٌ فَرَدَّها؛ ولكن سَعِيدًا واصل الطَّلَبَ في طريقٍ أُخرى ، فلقى الحارثُ بن كعب، وطلب منه بُرْدِيَه ، فَرَقَضَ سَعِيدٌ أَنْ يُعْطِيَهُ إِيَّاهما ، فقتله وأخذَهما ، ثم حَجَّ ضَبَّةُ بن أُدِّ بعد ذلك بزمان ، وجاء

(١) ضَبَّةُ بن أُدِّ : جد جاهلي تنسب إليه قبيلة بني ضَبَّةَ العربية ، وقد ذكر ابن إسحاق الفاكهي أَنَّ ضَبَّةَ بن أُدِّ كان معاصرًا لنبي الله سليمان بن داود (A) وانه جعله واليًا على بلاد الحجاز واليمن . وذكر أبو الفضل الميداني : أن ضَبَّةَ بن أُدِّ ، هو أول من قال الأمثال المشهورة : (الحديث ذو شجون) و (سبق السيف العَدْلُ) و (أسعدُ أم سعيْدُ) .

إلى عُكاظ فلقي فيها الحارث بن كعب^(١) ، ورأى عليه بُرْدَيَّ
ابنه سَعِيدَ فَعَرَفَهُمَا ، فقال له ضَبَّةٌ : هل أنت مُخْبِرِي ما هذان
البُردان ؛ فقد أعجبني مَنظرُهُما ، فقال الحارث : لقيتُ غلامًا
وهما عليه ، فسألتهُ إياهما ، فأبى عليّ ، فقتلتهُ وأخذتهما .
فَعَرَفَ ضَبَّةٌ أَنَّ الحارث هو الذي قتل ابنه .

فقال له : أبسيفك هذا قتلته ؟ قال : نعم ، فقال ضَبَّةٌ :

ألا تُريني إياه ، فإني أظنّه صارمًا .

فأعطاه إياه ، فلما أخذه منه هزّه ، وقال : إنَّ الحديثَ
نَو شجون (فذهب قولًا مثلًا) ، ثم ضربه فقتله ، فقيل له : يا
ضَبَّةُ ! أتقتلُ في الشهر الحرام؟ فقال سبق السيفُ العَدْلَ
(فذهب قوله مثلًا) .

(١) الحارث بن كعب : بني الحارث بن كعب ، من قبائل منطقة نجران
التاريخية وأقام في جوارهم من بني نصر بن الأزد وبني ذهل بن
فريقياء واقتسموا الرياسة ، فنجران معهم .

والمعنى هو : إنّ الأمر قد مضى وانقضى وسبق ، فما
الفائدة من اللوم.

وفي هذا المعنى يقول الطغرائي في لاميته :

إن كان يُنَجَّعُ شيءٌ في ثباتِهِمْ على العهود فَسَبَقُ السيفِ لِلْعَدْلِ

ومعناه أنّه لا شيء يُفيد في ثباتهم على العهد والولاء ،

كاللوم بعد أن يكون السيفُ قد ضَرَبَ ضَرْبَتَهُ .

ويقول جرير :

يُكَلِّفُنِي رَدَّ الْغَرَائِبِ بَعْدَمَا سَبَقَنَ كَسْبِقِ السيفِ من قال عاذلُه

ويقول السَّراجُ الوَّرَاقُ :

قَلْتُ إِذْ جَرَّدَ لِحْظًا حَاذُهُ يُدْزِي الْأَجَلَ

يَا عَذُولِي كُفَّ عَنِي سَبِقِ السيفِ الْعَذْلَ

وقال أبو الطيب :

تُرَابُهُ فِي كِلَابٍ كُحْلٍ أَعْيُنِهَا وَسيفُهُ فِي جَنَابٍ يَسْبِقُ الْعَذْلَا

وكلاب : اسم قبيلته .

وجناب : اسم قبيلة العدو .

وقال ابن وكيع لو قال المتنبّي :

إِحْسَانُهُ فِي كِلَابٍ غَيْثٌ مُجْدِبِهَا وَسَيْفُهُ فِي جَنَابٍ يَسْبِقُ الْعَدْلَا

لَصَحَّ التَّقْسِيمُ إِذْ لَيْسَ التَّرَابُ ضَدَّ السَّيْفِ .

وقال ابن الحاجب^(١) :

وَحَاوَلْتُ بِالْعَدْلِ أَنْ تُرْشِدَنِي فَقُلْتُ مَهْلًا سَبَقَ السَّيْفُ الْعَدْلَ

وقال ابن نُبَاتَةَ السَّعْدِيِّ^(٢):

(١) ابن الحاجب : هو ابن الحاجب المصري كان بارعًا في العلوم الأصولية وتحقيق علم العربية ومذهب مالك، له تصانيف مفيدة منها (الجامع بين الأمهات) و (المختصر) و (الكافية) و (الشافية) في النحو والصرف، توفي سنة (٦٤٦هـ) .

(٢) ابن نباتة السعدي : هو الشاعر أبو نصر عبد العزيز السعدي التميمي ، ولد في بغداد (٤٠٥هـ) وبها نشأ ودرس اللغة العربية على أيدي علماء بغداد في عصره حتى نبغ ، وكان شاعرًا محسنًا مجيدًا ، جمع بين السبك وجودة المعنى وهو كذلك يُعدّ شاعرًا عباسيًا من

يا أهل بابل عَزَمِي قَبْلَهُ فِكْرِي في النائباتِ وسيُفي يَسْبِقُ العَدْلَا

ولهذا المثل حكاية أخرى ، وهي باختصار :

أَنَّ النُّعْمَانَ بن ثواب^(١) كان له بنون ثلاثة : سعد وسعيد وساعدة ، وكان ابنه سعد شجاعاً بطلاً من شياطين العرب ، وكان سعيد يشبه أباه في شرفه وسؤدده وكرمه ، أما ساعدة فكان صاحب شراب وندمان ، ثم توفي أبوهم ، وأراد سعيد أن يَحْدُوَ حَدَّوْ أَبِيهِ في الكرم والجود ، فعمد إلى كبشٍ فذبحه ووضعهُ في ناحية من خبائه ، ثم دعا أحداً من ثقاته وقال له : إني قتلتُ فلاناً ، وهو الذي تراه في ناحية الخباء ولا بد من التعاون حتى ندفنه . فنفر منه هذا الصاحب وتركه وخرج ، فبعث إلى آخر من ثقاته وكلمه بنفس الكلام ، فغضب هذا أيضاً وخرج ، وهكذا حتى لم يبقَ من ثقاته أحد ،

شعراء القرن الرابع الهجري ، عربي الأصل لم يشك أحد في نسبه ، وقد أشاد بشاعريته عدد من نقاد عصره والعصور .

(١) النعمان بن ثواب : رجل من زعماء العرب كان ذا شرف وحكمة.

ثم بعث إلى رجل من إخوانه يقال له خُزيم بن نوفل^(١)، فلما جاءه قال له : إني قتلْتُ فلانًا وهو الذي تراه مُسجى ، وأريد أن تعينني حتى ندفنه . فانتخى خُزيم وواعد بالمعاونة ، وكان غلام لسعيد قائمًا بينهما ، فقال خُزيم: هل أطلع على هذا الأمر أحدٌ غير هذا الغلام ؟ فقال سعيد لا . ولم يُصدِّق خُزيم قوله ، وأخذ السيف وضرب الغلام فقتله ، وقال ليس عبدٌ بأخ لك ، فارتاع سعيد لقتل غلامه ، وأخذ يلوم خُزيمًا فقال له خُزيم : إنَّ أخاك منَ وِاساك ، وقال سعيد : إني أردتُ تجربتك ومعرفة صدق أخوتك لي ، ثم كشف له عن الكبش المذبوح ، وخبره بما لقي من الإعراض من إخوانه وثقاته الآخرين ، فقال خُزيم : سبق السيفُ العَدلَ .

(١) خُزيم بن نوفل : هو خُزيم بن نوفل الهمداني (همدان اليمن) ، وهو أول من قال هذا المثل ، وكان للنعمان بن ثواب العبدي بنون ثلاثة أسعد وسعيد وساعدة ، وكان أبوهم ذا شرف وحكمة وكان يوصي بنيه ويَحملهم على أدبه .

ونذكر - هنا- حكاية وردت في كتاب (المحاسن والأضداد) المنسوب إلى الجاحظ، وهي أن أول من قال (سبق السيفُ العَدْلُ) صَمُضَم بن عمرو اللخمي وكان يهوى امرأة فطلبها بكل حيلة ، فأبت عليه ؛ وطلبها عزيز بن عُبَيْد بن ضمضمة فأتته وتَأَبَّت على ضمضم وكان ضمضم من أَشَدَّ قومه بأسًا فاغتاظ لذلك وانطلق ليلة من الليالي وهو متقلِّد سيفه حتى صار بمكان يراهما إذا اجتمعا ولا يريانه ، فلما نام الناس وطال هدوء ضمضم إذا بالعزيز قد أقبل على فرسه ، وهو يقول:

أُمَامٌ تُوَاتِنِي وَتَأْبَى بِنَفْسِهَا عَلَى صَمُضَمٍ تَعْسًا وَرَغَمًا لِصَمُضَمٍ

وضمضم يسمع ، فنزل العزيز وربط فرسه وعمد إلى ناحية خبائها فصدح صدوح الهام وكان ذلك آية بينهما فخرجت إليه فعانقها وضمضم ينظر ثم خلا بها فلما رآهما ضمضم على هذه الحال مشى إليهما بالسيف وهو يقول :

سَتَعْلَمُ أَنِّي لَسْتُ أَعْشَقُ مُبَغِّضًا فَكأن بنا عنها وعنك عزاء

وهجم على العزيز فقتله ، فعلم القوم بما فعل ضمضم
فأخذوه وعرضوه للقتل وجعلوا يلومونه على قتل ابن عمه ،
فكان يقول :

سبق السيفُ العَدْلَ .

عادات حليلة الى عاداتها القديمة

وحليمة : هي زوج حاتم الطائي الذي ضربت به العرب
المثل في الكرم والسخاء ، لكنها كانت على النقيض منه ، إذ
كانت تشتهر بالإمساك والبخل ، ويُقال إنها كانت إذا أرادت
أن تضع إدامًا (سمناً في الطعام) ، ارتجفت الملعقة ولم
تطاوعها يدها ، فأراد حاتم أن يعلمها الكرم ، فزعم لها أنّ
الأقدمين ، كانوا يقولون إنّ المرأة كلما وضعت ملعقة من
السمن في طنجرة الطبخ زاد الله بعمرها يوماً ، فأخذت حليلة
تزيد ملاعق السمن في الطبخ ، حتى صار طعامها طيبًا ،
وتعودت يدها على السخاء .

ثم مات ابنها الوحيد الذي كانت تحبه أكثر من نفسها ،
فجزعت حتى تمنى الموت ، وأخذت لذلك تقلل من وضع
السمن في الطبخ حتى ينقص عمرها وتموت، فقال ضيوف
حاتم (عادت حليلة إلى عاداتها القديمة) .

وصار مثلاً يضرب للشخص الذي يعود إلى عمل قديم
كان قد توقف عنه.

عش رجباً تر عجباً

كان العرب يقصدون مكة في شهر رجب ويشكون
مظالمهم إلى الله عند الكعبة فلا يتأخر عقاب الظالم ، ومنها
قولهم من باب التهديد : عِشْ رَجَبًا تَرَّ عَجَبًا.

وفي رواية أخرى أن الحارث بن عباد بن ثعلبة^(١) طلق
زوجته بعد أن كرهته ، فتزوجت من بعده رجلاً أحبته وأعطته
من المحبة والحنان ما لم تعطه للحارث ، فلقي زوجها الجديد
الحارث وأخبره أنها أعطته من الحب ما يريد ، فأجابه الحارث
[عش رجباً تر عجباً] .

(١) حارث بن عبادة بن ثعلبة : الحارث بن عباد بن قيس بن ثعلبة
البكري ، أبو منذر ، حكيم عصر ما قبل الإسلام ، كان شجاعاً ،
من السادات ، شاعراً ، انتهت إليه إمرة بني ضبيعة وهو شاب ،
وفي أيامه كانت حرب (البسوس) فاعتزل القتال ... (راجع مثل أشأم
من البسوس) ص ٣٩ .

وقيل أنه قال عش رحبًا (بالحاء) بمعنى عش طويلًا ،
والقصد أن الأحوال تتبدل والزمن يغير الناس وطباعهم ،
فاصبر لنترى ما تكون عليه الحال غدًا.

وهذا المثل مثل قولهم : (إِنْ تَعِشْ تَرَ مَا لَمْ تَرَ) قال أبو
عُيَيْنَةَ المهلب^(١):

قَل لِمَنْ أَبْصَرَ حَالًا مُنْكَرَةً وَرَأَى مِنْ نَهْرِهِ مَا حَيَّرَهُ
ليس بالمنكر ما أبصرته كلُّ من عاش يرى ما لم يره
ويُضرب - المثل أيضًا - في تحوّل الدهر وتقلُّبه ،
وإتيان كل يوم بما يُتَعَجَّب منه ، ومثله قولهم : (يُرِيكَ يَوْمٌ
برأيه) أي يظهر لك ما لم تره قبله وفي عجز بيت : كلُّ مَنْ
عاش يرى لم يره.

(١) محمد بن أبي عيينة بن المهلب بن أبي صفرة ، كان أبوه متولي
الري لأبي جعفر المنصور ، نشأ في البصرة شاعرًا ظريفًا مطبوعًا
في فنون عدة لاسيما الوصف والغزل والهجاء .

وكقول طُفِيلِ الْغَنَوِيِّ :

نُبِّئْتُ أَنَّ أَبَا شَتِيمٍ يَدَّعِي مَهْمَا تَعَشَّ تَسْمَعُ بِمَا لَمْ تَسْمَعِ

في ستين داهية

كثيرة هي المناسبات التي ترد فيها عبارة (في ستين داهية) للإشارة إلى حالة من عدم الاهتمام واللامبالاة على ما ضاع بيد أن ذلك لم يكن المعنى والمقصد الأصلي ..

العبارة قالها قيس بن المكشوح^(١) المرادي ، وهي تعود إلى ما قبل الإسلام ، وقد وقعت في اليمن والتي كانت الحروب قائمة فيها بين قبيلتي مدحج وهمدان ، وكان الانتصار دائماً من نصيب قبيلة (مدحج) ، ما جعل قبيلة (همدان) تلجأ إلى الاستعانة بالفرس ، لإعداد الخطط والترتيبات للإيقاع بقبيلة مدحج ، وللتأثر لنفسها دبرت قبيلة

(١) قيس بن المكشوح المرادي : صحابي جليل واسم المكشوح هُيرة بت عبد يغوث من زاهر المرادي من مدحج ، ومدحج : قبيلة عربية كبيرة من القبائل العربية الكهلانية القحطانية ، وهو من (ارتد عن الإسلام ثم راجع)، والمكشوح لقب لأبيه ،

(همدان) جيداً واتفقوا على أن يقوم رجالها باستدراج مشايخ قبيلة (مدحج) الذين عرفوا بالذكاء والدهاء وطرح فكرة الحوار من دون حمل السلاح ، وبالفعل نجحت الفكرة ووقع ستون شيخاً من كبار مشايخ قبيلة (مدحج) في الشرك ، وعندما حانت اللحظة ، قام (الهمدانيون) بقتل المشايخ ، ونتيجة لهذه الحيلة تفرقت بعدها قبيلة (مدحج) والتي كان أحد فرسانها قيس بن المكشوح .

وبعد ظهور الإسلام حضر قيس بن المكشوح بين يدي رسول الله محمد (o) وأعلن إسلامه ، وقد حُسن إسلامه ، ثم عاد مرة أخرى إلى اليمن ، ولما حدثت الردة في كثير من القبائل المسلمة بعد وفاة رسول الله (o) ، أرسل الخليفة أبو بكر الصديق (E) ابن مكشوح لقتال من ارتد من أهل اليمن، أصرَّ وقتها أن يثار لقومه من قبيلة (همدان) لما كان من غدرهم بكبار قبيلته وهم عُزل من دون سلاح ، وباستعمال الخديعة والمكر ، فما كان منه إلا أن ثأر لهم ، وصارت

أعداد القتلى تتزايد واحدًا تلو الآخر ، ثم قام بحصار قصر (فيروز الديلمي) الفارسي في صنعاء. بقي حال صنعاء على تلك الحالة حتى جاء كبار وعُلية القوم للوساطة بين الفريقين، وقد عاتبوا قيس على الخراب والدمار الذي أوقعه بـ (الهمدانين) ، وكثرة أعداد القتلى، فما كان من قيس إلا أن أجاب بجملة مختصرة حملت الكثير من المعاني ، وهي (في ستين داهية) .

والمعنى ان كل من قتلوا وماتوا ، وكل هذا الخراب مقابل موت ستين داهية من دواهي قبيلته ، وهكذا كعادة العرب في نقل الأخبار والأقوال والمأثورات عن بعضهم تم تداول المقولة ، وعلى الرغم من ذلك تناقلت الناس المقولة على سبيل التعبير عن عدم الاهتمام واللامبالاة على ما ضاع أو فات ، وليس للمعنى الأصلي لها الذي ورد على لسان (قيس ابن المكشوح) ، والذي كان يرمز إلى المقابلة ، والتساوي في مقدار حجم الخسائر ، (فالهمدانيون) الذين ماتوا

، ماتوا في مقابل ستين رجلاً من كبار قبيلة (مدحج) ، وهو ما
يعني [في ستين داهية] .

قابلي في المشمش

المعروف عن ثمر المشمش في بعض البلاد العربية أنّه لا يدوم طويلاً ، ومن هنا جاء القول العامي (جمعة مشمشية) أي أسبوع قصير .

وقد توسع الناس في هذا المعنى ، فكان المشمش يكنى به بقصر الوقت أولاً ، ثم صار يُكنى به عن قلة الوقت وعدمه؛ وكأنّ الإنسان إذا قال (في المشمش) فإنه يعني أن هذا الذي في المشمش لا وجود له ، أو أن الموعد المضروب في المشمش لن يحتاج له أن يتحقق .

كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرَ

يُقَالُ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ : فَلَانٌ سَاكِنٌ الطَّائِرُ ، أَي حَلِيمٌ هَادِئٌ وَقَوْرٌ ، وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ لَشِدَّةِ وَقَارِهِ وَهَدْوَيْهِ لَوْ نَزَلَ عَلَى رَأْسِهِ طَائِرٌ لَبَقِيَ سَاكِنًا لَمْ يَطِيرَ ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

وَكأَنَّمَا الطَّيْرُ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ لَا خَوْفَ ظُلْمٍ وَلَكِنْ خَوْفَ جُلَّالٍ

وَمِنْ هَذَا الْمَعْنَى أَوْ قَرِيبٌ مِنْهُ قَوْلُهُمْ فِي الْكَلَامِ عَلَى النِّعْمَةِ وَالخَصْبِ :

هُمُ فِي نَعِيمٍ لَا يُطَيَّرُ غُرَابُهُ . وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الْغُرَابَ لِكثْرَةِ الْخَيْرِ يَرْتَعُ وَيَذْهَلُ عَمَّا حَوْلَهُ حَتَّى أَنَّهُ لَا يَتْرَكَ مَكَانَهُ وَلَا يَطِيرُ ، حَتَّى لَوْ سَعَى أَحَدٌ أَنْ يُطَيَّرَهُ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ النَّابِغَةُ الذَّبْيَانِي :

وَلِرَهْطِ حَرَّابٍ وَقَدِّ سَوْرَةٍ فِي الْمَجْدِ لَيْسَ غُرَابُهَا بِمُطَارٍ

وَيُقَالُ أَيْضًا : هُوَ وَاقَعَ الطَّيْرَ ، إِذَا كَانَ هَادِئًا وَقَوْرًا .

ويقال في عكس ذلك كأنهم غرابًا واقعًا ، لأن الغراب إذا وقع لا يلبث أن يطير .

ويقال : طار طائرُهُ أي ثار وغضب .

وفي الحديث عن صفة مجلس رسول الله (o) : (إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير) أو (كأن على رؤوسهم الطير) أي ساكنون هيبَةً . وأصله أن الغراب يقع على رأس البعير فيلقط عنه القُرَادَ فيرتاح البعير لذلك ، فلا يتحرك لئلا ينفر عنه الغراب.

لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ

أول من قاله عُتْبَةُ بن ربيعة^(١)، وتمثل به الإمام علي (كرم الله وجهه) . وقاله عُتْبَةُ حين أجمعت قريش المسير إلى بَدْرٍ وهو مأخوذٌ من قول الشاعر :

أَمْرُهُمْ أَمْرِي بِمَنْعَرَجِ اللَّوِيِّ وَلَا أَمْرَ لِلْمَعْصِيِّ إِلَّا مُضَيِّعًا

إنَّ الإمام علي (كرم الله وجهه) ، رجلٌ شجاع ، ولكن لا علم له بالحرب لله أبوهم ، وهل أحدٌ منهم أشد لها مراسًا ، وأقدم فيها مقامًا مني ، لقد نهضت فيها ، وما بلغت العشرين ، وجاء المثل عند الإمام مناسبًا لما بنى على الحادثة التي قيل فيها ، وجاء المثل من باب المبالغة في عدم تحقيق الأهداف السامية عند تركهم لطاعته ، وهو نظير قولهم .

(لا رأي لمعصي) .

(١) أبو الوليد عتبة بن ربيعة العبشمي القرشي الكناني (٥٥٥-٦٢٤م) سيد عبد شمس ، ومن حكماء قريش ، يلقب بالعدل لأنه يعدل قريش كلها بالحلم والرأي السديد .

لا في العير ولا في النفير

العير : الإبل تَحْمِلُ التجارة ، ويُعنى به ها هنا عَيْرُ قريش التي خَرَجَ رسول الله (ﷺ) لأخْذِهَا، ووقعتْ وقعةً بَدْرٍ لأجلها ، والنفير ... يُعنى به وقعة بَدْرٍ، وذلك أن كلَّ مَنْ تخَلَّفَ عن العير وعن النِّفِيرِ لبدر من أهل مكة كان مُسْتَضْعَرًا حقيرًا فيهم، ثم جُعِلَ مثلاً لكل مَنْ هذه صفته .
وهو يُضرب مثلاً للرجل يُحْتَقَرُ لقلّة نفعه .

لا مَخْبَأَ لِعِطْرِ بَعْدِ عَرُوسٍ

وأصله أنّ رجلاً تزوج امرأة ، فهدّيت إليه فوجدها تَفَلَةً ،
فقال : أين الطَّيِّب ! فقالت : حَبَّأْتُهُ ، فقال : (لا مَخْبَأَ لِعِطْرِ
بعد عَرُوسٍ) .

والعروس : اسم للرجل والمرأة ، فإذا كان الرجل فجمعه
عُرُوسٌ ، وإذا كانت المرأة فالجمع العرائس .
ويضرب المثل للشيء يُسْتَعَجَل عند الحاجة إليه .

لَا يَعْرِفُ هِرًا مِنْ بَرٍّ

ومعناه لَا يَعْرِفُ شَيْئًا مِنْ شَيْءٍ ، وقيل : معناه لَا

يَعْرِفُ مِنْ يَبْرُهُ مِمَّنْ يَكْرَهُهُ، يقال :

هَرَزْتُ الشَّيْءَ إِذَا كَرِهْتَهُ.

قال عنترَةُ :

حَلَفْنَا لَهُمْ وَالْخَيْلُ تَرْدِي بِنَا مَعًا

نُزَايِلِكُمْ حَتَّى تَهْرَوُا الْعَوَالِيَا

وقيل معناه أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ السِّنَّورَ مِنَ الْفَأْرِ ، وَالْهَرُّ :

السِّنَّورُ ، قِيلَ : وَالْبِرُّ : الْفَأْرَةُ ، (وَلَا نَعْرِفُ صِحَّةَ ذَلِكَ).

لَا يُلْسَعُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُرِّ مَرَّتَيْنِ

المثل للنبي (o) ..

قال ابنُ سَلامٍ : كان أبو عَزَّةَ^(١) شاعراً مُملِقاَ ذا عِيالٍ ،
فَأُسِرَ يَوْمَ بَدْرٍ كَافِراً ، فقال : يا رسول الله ، إني ذُو عِيالٍ
وَحَاجَةٌ عَرَفْتُهَا فَاْمُنُّنُ عَلَيَّ ، فقال : على أَلَا تُعِينُ عَلَيَّ ، يُرِيدُ
بِشِعْرِهِ ، فَعَاهَدَهُ فَأُطْلِقَهُ

فلما كان يَوْمُ أُحُدٍ ، دعاه صفوانُ بن أميَّةَ بن خلف
الجُمَحِيِّ ، وهو سيدهم إلى الخَروجِ ، فقال إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَنَّ
عَلَيَّ وَعَاهَدْتُهُ إِلَّا أُعِينَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَزَلْ بِهِ ، وكان محتاجاً

(١) أبو عزة الجمحي : شاعر في عصر ما قبل الإسلام له قصة
معروفة عند أسره في غزوة بدر، إذ عفا عنه النبي محمد (o) ،
ولكن أبا عزة عاد لمهاجمة النبي (o) فأسره مرة أخرى في غزوة أحد
وضرب عنقه . (ت ٦٢٥ هـ) ، وكان شاعراً مملقاً ذا عيال .

فأطمعه والمحتاج يطمع ، فخرج فسار في بني كنانة
فحرّضهم، فقال :

أيا بني عبد مناف الرّزام أنتم حماة وأبركم حام
لا تعدوني نصركم بعد العام لا تسلموني لا يحلّ إسلام

قال : فأسر يوم أخذ ، فقال : يا رسول الله ، منّ عليّ ،
فقال النبي (o) : (لا يُلَسَعُ المؤمنُ من جُحرٍ مرّتين ، لا
تَمَسُحُ عارضِيكَ بمكة وتقول : خدعتُ محمدًا مرتين) ، وقتله،
وقيل : إنّه أسره حين خرج إلى حمراء الأسد^(١).

وهذا كناية عما يُؤثّمه ، أي : أن الشرع يمنع المؤمن
من الإضرار (الإصرار)، فلا يأتي ما يستوجب به تضاعف
العقوبة .

ويضرب لمن أُصيب ونُكب مرة بعد أخرى .

(١) حمراء الأسد : موضع على بعد ثمانية أميال من المدينة ، إليه
انتهى رسول الله (o) يوم أُحد في طلب المشركين .

لا ناقة لي في هذا ولا جمل أولا ناقتي في هذا ولا جملي

وهذا مثلٌ من أمثال العرب المشهورة وأصله أنّ امرأة تُسمى الصّدوف^(١) العُذريّة بنت جُليس ، كانت زوجة لزيد بن الأخنس العُذري ، وكانت له بنتٌ من غيرها تسمى الفارعة ، وكانت تسكن بمعزلٍ عن امرأة أبيها في خباءٍ آخر ، فغاب زيدٌ عن زوجته مدةً ، فعلق الفارعة رجلاً عُذري يسمي شبت وطاوعته ، فكانت تركب كُلاً عشيةً جملاً وتذهب مع شبت إلى مكانٍ ويبيتان فيه . ولما رجع أبوها زيدٌ من غيبته، عرّج على كاهنةٍ اسمها طريفة ، فأخبرته بما يجري من الريبة في بيته .

(١) هي من ربّات الفصاحة والبلاغة، كانت تؤيد الكلام وتسجع في المنطق ، وكانت ذات مالٍ كثير ، وقد خطبها كثيرون فردتهم .

فأقبل وظنَّ الخيانة في زوجته ، فلما دخل عليها عَرَفَتْ
الشرَّ في وجهه ؛ فقالت له : لا تُعَجِّل ، وأقِفْ الأثر ؛ (لا ناقة
لي في هذا ولا جمل) .

وهذا المثل يُضرب في التَبَرُّو من التهمة والظلم
والإساءة ، وقد ضُمَّنَّ هذا المثل في أقوال العرب وأشعارهم
ومن أحسن التضمين وقول الشهاب أبي التناء محمود في
قصيدة له يقول فيها:

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ أَيْنَ الْغَيْثُ مُنْفَصِلًا

مِنْ بَرِّهِ وَهُوَ طَوَّلَ الدَّهْرَ مُتَّصِلُ

مَنْ حَاتَمَ عَدَّ عَنْهُ وَاطَّرَحَ فَبِهِ

فِي الْجُودِ لَا بِسِوَاهِ يُضْرَبُ المثلُ

أَيْنَ الَّذِي بَرَّهُ الْآلَافُ يَتَّبَعُهَا

كَرَائِمُ الخَيْلِ مِمَّنْ بَرَّهُ الْإِبِلُ

لو مُثِّلَ الجودُ سَرَحًا قال حاتمُهم

لا ناقةٌ لي في هذا ولا جَمَلٌ

وقال الراعي :

وما هَجَرْتُكَ حتى قُلْتُ مُغْلَنَةً

لا ناقةٌ لي في هذا ولا جَمَلٌ

ويقول الطغرائي في لاميته المشهورة :

فِسمَ الإِقامةَ في الزوراء لا سَكَنِي

بها ولا ناقتي فيها ولا جَملي

وفي مصادر أخرى ذكرت ، أنَّ الحارث بن عباد الذي رفض المشاركة في حرب البسوس بين تغلب وربيعة ، وقد كان سبب الحرب أنَّ كليبًا قتل ناقة البسوس ، فقام جَسَّاسٌ لقتل جمل كليب ، لكنه قتل كليبًا نفسه ، فاشتعلت الحرب بين أبناء العمومة ، ولما دُعي ابن عباد إلى الحرب رأى أنها حرب غير محقة لا لطرف الزير سالم أخو كليب المقتول ولا لطرف مرة

بن ربيعة والد جساس القاتل فأبى النزول ، وقال : (لا ناقتي
فيها ولا جملي) فصارت جملته هذه مضرِبًا للمثل تدل على
البراءة من الأمر .

مسمار جحا

مسمار جحا^(١) : لا يقل أهمية عن جحا نفسه ...

وجحا شخصية هامة جدًا في تاريخنا ؛ إذ طالما كان

اللسان المعبر عما نسميه الآن (الأغلبية الصامتة) !

أما مسماره ، فيضرب به المثل في اتخاذ الحجة الواهية

للوصول إلى الهدف المراد ولو بالباطل .

وأصل الحكاية ، إنّ جحا كان يملك دارًا ، وأراد أن

يبيعها دون أن يفرط فيها تمامًا ، فاشتراط على المشتري أن

يترك له مسمارًا في حائط داخل المنزل ، فوافق المشتري دون

(١) جحا : " شخصية خيالية من التراث الشعبي العربي ، وفي كثير من

الثقافات القديمة، ونسبت إلى شخصيات عدة ، عاشت في عصور

ومجتمعات مختلفة ، وفي الأدب العربي ، نسب جحا إلى (أبو

الغصن) دُجين الفزاري الذي عاصر الدولة الأموية ، وهو أقدم

شخصيات جحا وإليه تنسب النكات العربية .

أن يلحظ الغرض الخبيث لجحا من وراء الشرط ، لكنه فوجئ بعد أيام بجحا دخل عليه البيت ، فلما سأله عن سبب الزيارة أجاب جحا : جئت لأطمئن على مسامري !! فرحب به الرجل وأجلسه وأطعمه ، لكن الزيارة طالت ، والرجل يعاني حرًا من طول وجود جحا ، لكنه فوجئ بما هو أشد ؛ إذ خلع جحا جبته ، وفرشها على الأرض وتهيأ للنوم ، فلم يطق المشتري صبرًا ، وسأله :

ماذا تتوي أن تفعل يا جحا !؟

فأجاب جحا بهدوء :

سأنام في ظل مسامري !! وتكرر هذا كثيرًا ، وكان جحا يختار أوقات الطعام ليشارك الرجل في طعامه ، فلم يستطع المشتري الاستمرار على هذا الوضع وترك دار جحا بما فيها وهرب !!

مُكْرَهُ أَخَاكَ لَا بَطْلَ

تدور أحداث القصة حول معركة دارت بين سيدنا علي (E) وبين معاوية بن أبي سفيان في معركة صفين ، وحينها قام سيدنا علي بخلع درعه لكي يبارز بالسيف ، وهذا الطلب كان دليلاً على شجاعة وقوة سيدنا علي (E) . وجيش معاوية كان يعي تماماً بشجاعة وبطولة سيدنا علي ابن عم الرسول الرجل القوي ، وبالفعل لم يخرج أيّ من جيش معاوية من أجل مبارزته ، ولا حتى معاوية ، وقابله بالرفض وتوجه إلى عمرو بن العاص يطلب منه مبارزة سيدنا علي بن أبي طالب ، وكانت علامات التعجب والاستغراب واضحة على وجهه ، وسأله متعجباً ، أحقاً تريدني أن أبارز أبا الحسن ؟ فلو كان رجلاً غيره لما كنت أخاف وعزمت على ذلك، ولكنه علي ومواجهته ليس بالشيء الهين ، فقال له معاوية ، أما أمرتك بفعل ذلك؟ وخرج عمرو بن العاص قبالة سيدنا علي ، وقام

برمي سيفه أرضًا وقال : (مُكْرَهُ أَخَاكَ لَا بَطْلًا) ، والمقصود بذلك أنه وقف أمام سيدنا علي بالإجبار ، وليس بطولة منه ، وكانت ردة فعل سيدنا علي بأن ضحك على تصرفه وعاد إلى جيشه ، ولم يقيم بالمبارزة ، وبعد ذلك وقع القتال بينهم ، ودارت معركة شرسة بين الطرفين نتج عنها موت الكثير من الصحابة (رض) ، ولكن انتهت الحرب بنصر سيدنا علي بن أبي طالب (ع) .

في حين واجه أمير المؤمنين علي .. معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص في معركة (صفين) ، وقالوا : إنّ معاوية بن أبي سفيان حضر (صفين) فخرج علي بن أبي طالب ، وتعرفون من هو علي أشهر ما فيه أنه (حيدرة الأسد) يقول :

أنا الذي سمّتي أمي حيدره ..

كَلَيْتَ غَابَاتِ كَرِيهِ الْمَنْظَرِ

أَكِيلِكُمْ بِالسَّيْفِ ، كَيْلِ السَّنْدَرِ

كان إذا خرج الأبطال وضعوا الدروع في الأرض
علامة: (خطر ممنوع الاقتراب) ! أخرج السيف يوم صفين
وقال : من يبارز ؟

قال المسلمون : بارز أنت يا معاوية ، قال : والله لا
أقدر عليه ، ثم ردها على عمرو بن العاص ، وقال : يا
عمرو بن العاص ؟ بارز الرجل .

قال ابن العاص : لا أريد .

قال معاوية : عزمت عليك أن تبارزه .

فخرج عمرو ، فلما رأى علياً (A) وضع درعه وسيفه.

قال : (مُكْرَةً أَخَاكَ لَا بَطْلَ).
وبدأت المعركة وفرّ معاوية .

وهناك قصة أخرى لقصة هذا المثل ننقلها للإفادة ..

إنَّ رجلاً يدعى (أبا حَنْشٍ) خال بَيْهَس^(١) الملقب بنعامه قال له خالهُ : وقد بلغه إنَّ ناسًا من أشجع في غار يشربون ، وهم قاتلون إخوته :

هل لك في غار فيه طباء لعنا نصيب منها؟

فانطلق به حتى أقامه على فم الغار ، ثم دفعه في الغار فقال : ضربًا أبا حنش فقتلهم جميعًا ، فلما خرج من الغار قال بعضهم : إنَّ أبا حنش لبطل ! فقال أبو حنش (مُكْرَةً أَخَاكَ لَا بَطْلًا) ، فصار هذا مثلاً يضرب لمن يُحْمَلُ على ما ليس من شأنه .

ومن الوجهة النقدية فإنَّ الالفت للنظر في مثل (مُكْرَةً أَخَاكَ لَا بَطْلًا) والذي يُعَدُّ من أكثر الأمثلة المتداولة بين الناس، هو الخطأ النحوي ، أي من الناحية النحوية البحتة ،

(١) وهو رجل من بني فزارة بن ذيبان بغيض ، كان يُلقَّب بـ (نعامة) .

فهذا المثل الشائع ، والذي يتمثل به بعضهم ، حينما يكون هناك أمام أحدهم فعل صعب يجبر على الإقدام عليه شيء من التهور ، وفيه مخاطرة كبيرة ، غير أن حقيقة فعله يعود إلى أنه لا خيار آخر أمامه سوى ذلك .

إنّ الخطأ القواعدي الإعرابي ، فهذا المثل لا يخلو عن كونه مخالفاً للقواعد العامة للإعراب والنحو ، وفيه خطأ ذلك أن الصحيح هو أن نقول (مُكْرَهُ أَخَاكَ لَا بَطْلٌ) ، ومن هنا يبدأ السؤال فما الحجة اللغوية أو القواعدية التي جعلت بعضهم يقول بصحته الإعرابية .

نرى هنا أن الاستثناء ، راح مثلاً يحتذى به ويستند إليه في اللغة ولهذا نجد أن للمثل أكثر من وجه إعرابي :

مُكْرَهُ أَخَاكَ لَا بَطْلٌ.

مُكْرَهُ : خبر مقدم مرفوع .

أَخَاكَ : أخا : مبتدأ مؤخر جوازاً مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الألف (على لغة تميم) منع من ظهورها

التعذر ، وهو مضاف ، والكاف : ضمير متصل في محل جر مضاف إليه.

لا : حرف عطف ونفي .

بطل : معطوف على مرفوع (مُكْرَةٌ) يتبعه رفعًا .

لكن ابن هشام الأنصاري في مغني اللبيب ، وجه العبارة توجيهاً آخر هو : إنّ أخاك وردت على لغة من قال :

إنّ أباهاً وأبا أباهاً قد بلغا في المجد غايتها

وهي لغة القصر ، ولغة القصر هذه حكاها ابن

الأعرابي :

أما إعراب المثل : فقولُه :

مُكْرَةٌ : خبر مقدم ، وأخاك مبتدأ مرفوع ، وعلامة رفعه

الضمة المقدّرة للتعذر ، على لغة من قَصَرَ .

أو : مُكْرَةٌ : مبتدأ ، وأخاك : نائب فاعل سد مسد الخبر

مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة للتعذر . على رأي الكوفيين

والأخفش الذين لا يشترطون في الوصف اعتماده على نفي أو شبهه.

مُكْرَةٌ أَخَاكَ لَا بَطْلٌ

مُكْرَةٌ : خبر مقدم مرفوع علامة رفعه الضمة.

أَخَاكَ : نائب فاعل سد مسد المبتدأ ، مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الألف للتعذر ، وهذه لغة، أو منع من ظهورها الحكاية .

لا : حرف عطف .

بطل : اسم معطوف على مُكْرَةٌ مرفوع .

وهناك أوجه إعرابية عدّة له .

فقول المثل الصحيح هو : مُكْرَةٌ أَخَاكَ لَا بَطْلٌ

مُكْرَةٌ : خبر مقدم .

أَخُو : مبتدأ مؤخر .

مواعيد عرقوب

في أصل هذا المثل قولان : الأول لأبي علي بن أحمد
بن إسماعيل النحوي، إذ يقول :
عُرْقُوبٌ رَجُلٌ مِنْ خَيْبِرٍ كَانَ يَهُودِيًّا ، وَكَانَ يَعِدُّ وَلَا يَفِي ،
فَضْرَبَتْ بِهِ الْعَرَبُ الْمَثْلَ .

من ذلك قول الشاعر المتلمّس :

الغَدْرُ وَالْآفَاتُ شِمِيئُهُ فافهم فعرقوبٌ له مَثَلٌ

وقال كعب بن زهير :

كانت مواعيدُ عرقوبٍ لها مثلاً وما مواعيدها إلاّ الأباطيلُ

القول الثاني : لأبي عبيد، وهذا قوله :
عرقوبٌ رجلٌ من العماليق أتاه أخ له يسأله فقال له
عُرقوب : إذا أطلعت هذه النخلة فلك طلعتها .

فلما أطلعت أتاه فقال له دعها تصير بلحًا ، فلما
صارت بلحًا قال له : دعها تصير زهواً أي بُسراً ملوناً : فلما
صارت زهواً ، قال له دعها حتى تصير رُطبًا فلما صارت
رُطبًا قال له : دعها حتى تصير تمرًا فلما صارت تمرًا عمَدَ
إليها عُرقوبٌ فجدّها ولم يُعطِ أخاه من التمر شيئاً ، فصار
مثلاً ، وفي ذلك يقول الأشجعي (١) :

وعدت وكان الخلف منك سجيّةً مواعيد عُرقوبٍ أخاه بيثرب (٢)

(١) يزيد بن عبيد بن قيس بن هلال بن أشجع ، ويدعى جبهاء أو
جبهاء ، وهو الأكثر شيوعاً ، شاعر أموي خبيث ، ولم ينتجع
الخلفاء بشعره .

(٢) يثرب: هي المدينة المنورة ، وفي بعض الروايات (يثرب) هي
موضع قريب من اليمامة .

ويقول علقمة :

وقد وعدتُك وعدًا ما وفَّيتُ به
كموعد عرقوبٍ أخاه بيثرب

وافق شن طبقة

قال ابن الكلبي^(١): طبقة قبيلة من إياد كانت لا تطاق،
وشن أبو قبيلة أخرى مثلها لا تطاق ، فوعدت بـطبقة فأذاقتها
شدة وعسفاً ، فقيل : (وافق شن طبقة) .

أي إن الشديد يلاقي شديداً مثله ، كما قال الشاعر :

لَقَيْتُ شَنْ إِيَادًا بِالْقَنَا طَبَقًا وَفَقَ شَنْ طَبَقَهُ

ويقول الشرقي بن القطامي^(٢): كان شن رجلاً من دهاة

العرب وعقلانهم ، فقال يوماً : والله لأطوفن حتى لأجد امرأة

(١) ابن الكلبي : أبو المنذر بن الحارث بن عبد الحارث الكلبي ويكنى
ابن الكلبي ، مؤرخ وعالم أنساب وأخبار العرب وأيامها ووقائعها
ومثالبها ولد في الكوفة (٧٣٧م) وتوفي في الكوفة (٨١٩م) .

(٢) الشرقي بن القطامي الكلبي : الشرقي والقطامي لقبان : هو الوليد
بن الحصين بن حماد (٨٠-١٥٥هـ) كان علامة نسابة إخبارياً إلا

مثلي فأتزوجها ، فبينما هو في بعض مسيره إذ لقيه رجلٌ في الطريق ، فسأله شَنَّ : أين تُريد ؟ فقال : (أريدُ) مَوْضِعَ كذا ، وكان يريد القرية التي كان شَنَّ يقصد لها . فترافقا في الطريق . ثم قال له شَنَّ : أتحملي أم أحملك ؟

فقال الرجل : يا جاهل ، أنا راكب وأنت راكب ، فكيف أحملك وتحملي؟ فسكت عنه شَنَّ ، وسارا حتى قَرُبَا من القرية فإذا هما بزرع قد استحصَدَ ، فقال شَنَّ : أترى هذا الزرع أُكِلَ أم لا؟ فقال له الرجل : يا جاهل ترى نباتًا مُستحصَدًا وتقول أتراه أُكِلَ أم لا ؟ فسكت عنه شَنَّ ، حتى إذا دخلا القرية لقيتهما جنازة ، فقال شَنَّ : أترى صاحب هذا النعش حيًا أم ميتًا ؟ فقال له الرجل : ما رأيتُ أجهل منك ، ترى جنازة فتسأل عنها أميت صاحبها أم حيي ؟ فسكت عنه شَنَّ وأراد

أنه كان ضعيفًا في روايته ، وكان من أهل الكوفة وكنيته شرقي أبو المثنى .

مفارقته ، فأبى الرجلُ أن يتركه حتى يصير به إلى منزله ،
فمضى شن معه . وكان للرجل ابنةٌ يقال لها طبقة، فلما دخل
عليها أبوها سألته عن ضيفه فأخبرها كيف التقيا وترافقا ،
وشكا إليها جهله ، وحدثها لحيثه ، وأسئلته الباردة ، فقالت
البنات يا أبتِ ما هذا ما بجاهل. أما قوله : أتحملي أم
أحملك؟ فأراد أن يقول : أتحدثني أم أحدثك حتى نقطع
طريقنا، وأما قوله : أترى هذا الزرع أكل أم لا ؟ فإنما أراد :
أباعه أهله فأكلوا ثمنه أم لا ؟ وأما قوله في الجنابة ، فإنما
أراد: هل ترك عَقِبًا يحيا بهم يكره أم لا ؟ فخرج الرجل فقعد
مع شَنّ وحادثة ساعة ، ثم قال له : أتحبُّ أن أفمِّر لك ما
سألتني عنه ؟ قال : نعم ، ففسّره ، فقال شن ما هذا من
كلامك ، فأخبرني من صاحبه ، فقال الرجلُ ابنةٌ لي فخطبها
شَنّ وتزوجها وحملها إلى أهله ؛ فلما رأوهما قالوا (وافق شَنّ
طبقة) فذهبت مثلاً.

وقال الأصمعي: الشَّن وعاءٌ من جلدٍ كان تَشَنَّ أي صار
خَلَقًا فاتخذوا له غِطاءً يناسبه ، فقالوا: (وافق شُنُّ طبقة) .

وتمثل بالمثل الحريري في مقاماته التبريزية ، فقال :

أراكُما شَنًّا وطَبَقَه وجِدَاءً وبُنْدُقَةَ

ويضرب هذا المثل للمتوافقين في أمر معين

وعند جُهينة الخبرُ اليقينُ

في رواية المثل اختلاف ، فالأصمعي كان يقول :

وعند جُهينة؛ وقال أبو عبيدة : وعند حُفينة ؛ وقال هشام

ابن الكلبي^(١) : وعند جهينة، وقال أبو عبيدة : كان ابنُ الكلبي

في هذا النوع أكثر من الأصمعي ، أي إنَّ قولَ ابن الكلبي

أصح ، وعلى هذا فإن المثلَ يُروى على الوجه الأصح به :

(وعند جُهينة الخبرُ اليقين) .

ولهذا المثل حكايتان :

(١) هشام بن الكلبي : أبو المنذر هشام بن محمد بن الحارث الكلبي

ويكنى بـ (ابن الكلبي) - مؤرخ وعالم أنساب وأخبار العرب (١١٠) -

. (٢٠٤هـ) .

١- الحكاية الأولى : قال السيرافي : جُهَيْنَةُ اسمُ خَمَارٍ اجتمع عنده رجلان فَشَرِبَا وسكرا ، ثم تَوَاثَبَا ، فقام شخصٌ ثالثٌ يُصَلِّحُ بينهما فَقَتَلَهُ أَحَدُ الاثنتين ، فأخذ أهلُ القنيلِ الرجلين إلى المحاكم ، فقال الحاكم : عليكم بجهينة فإن عنده الخبر اليقين .

٢- الحكاية الثانية : أن رجلاً اسمه حَصِينُ بنُ عمرو بن معاويةَ بن كلاب خرج يَطْلُبُ فُرْصَةً له ، فاجتمع برجلٍ من جُهَيْنَةَ يقال له الأحنَسُ ، فنزلا في بعض منازلهما ، وتعاقدا أن لا يُلْقِيا أَحَدًا إِلَّا سَلَبَاهُ ، وكلاهما فاتكٌ ، فلقيا رجلاً فسلباه كلٌّ ما معه ، فقال لهما : هل لكما أن تَرُدَّا علي بعض ما أَخَذْتُمَاهُ مِنِّي ، فقالا : نعم ، فقال لهما : هذا رجلٌ لَحْمِي قَدِمَ من بعض الملوك بِمَعْنَمٍ كثير ، وهو خَلْفِي في موضع كذا ، فَقبَلَا منه ، وردَّا عليه بعض ماله ، ثم طلبا اللَّحْمِيَّ فوجداه نازلاً في ظلِّ شجرة ، وقُدَّامه طعامه وشرابه

فَحَيَّيَاهُ وَحَيَاهُمَا وَعَرَضَ عَلَيْهِمَا الطَّعَامَ فَنَزَلَا وَأَكَلَا وَشَرِيَا
مَعَهُ ، أَي اللُّخْمِي . ثُمَّ إِنَّ الْأَخْنَسَ ذَهَبَ لِبَعْضِ شَأْنِهِ ،
فَاغْتَمَّ حَصِينٌ غِيَابَ صَاحِبِهِ ، فَقَامَ وَضَرَبَ اللَّخْمِيَّ
بَسِيفِهِ ، فَلَمَّا رَجَعَ الْأَخْنَسُ وَجَدَ سَيْفَ صَاحِبِهِ مَسْلُولًا ، وَوَجَدَ
اللُّخْمِيَّ يَتَشَحَّطُ فِي دَمِهِ فَسَلَّ سَيْفَهُ وَقَالَ لِحَصِينِ : وَيْحَكَ
قَتَلْتَ رَجُلًا قَدْ تَحَرَّمْنَا بِطَعَامِهِ وَشَرَابِهِ ، فَقَالَ حَصِينُ : أَقْعَدُ
يَا أَخَا جَهِينَةَ ، فَهَذَا وَشَبَّهَهُ خَرَجْنَا ، ثُمَّ إِنَّ الْأَخْفَشَ الْجُهَنِيَّ
شَعَلَ صَاحِبَهُ بِشَيْءٍ ثُمَّ وَتَبَّ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ وَأَخَذَ مَتَاعَهُ وَمَتَاعَ
اللُّخْمِيِّ ، ثُمَّ انصَرَفَ إِلَى قَوْمِهِ رَاجِعًا بِمَالِهِ ، فَمَرَّ بِبَطْنَيْنِ
مِنْ قَيْسِ يُقَالُ لَهُمَا مِرَاجُ وَأَنْمَارُ ، وَإِذَا امْرَأَةٌ تُتَشَدُّ الْحَصِينِ
فِي الْمَوَاسِمِ ، وَتَسْأَلُ عَنْهُ ، فَلَا تَجِدُ مِنْ يُخْبِرُهَا بِخَبْرِهِ .
فَقَالَ الْأَخْنَسُ حِينَ أَبْصَرَهَا : مَنْ أَنْتِ؟ قَالَتْ أَنَا صَخْرَةُ
امْرَأَةِ الْحَصِينِ الْغَطْفَانِيِّ (وَيُقَالُ إِنَّهَا كَانَتْ أخته) فَمَضَى
وَهُوَ يَقُولُ :

وَكَمْ مِنْ ضَيِّعٍ وَرِدٍ هَمُوسٍ
عَلَوْتُ بِيَاضَ مَفْرَقَةٍ بَعْضِ
وَأَضَحَتْ عِرْسُهُ وَلَهَا عَلَيْهِ
كَصْحَرَةٌ إِذْ تُسَائِلُ فِي مَرَاحِ
تُسَائِلُ عَنْ حُصَيْنٍ كُلِّ رَكْبٍ
أَبِي شِبْلِينَ مَسْكَنُهُ الْعَرِينُ
فَأَضْحَى فِي الْفَلَاةِ لَهُ سُكُونُ
بُعِيدَ هُدُوقِ لَيْلَتِهَا رَنِينُ
وَأَنْمَارٍ وَعِلْمِهَا ظُنُونُ
وَعِنْدَ جُهَيْنَةَ الْخَبْرُ الْيَقِينُ

وتوجدُ حكايةٌ ثالثةٌ على رأي الأَصمعي ، وهي أن
جُهَيْنَةَ (لا جُهَيْنَةَ) رَجُلٌ كان يعلم خبرَ قتيلٍ كان قد قُتِلَ ،
وكان قومُه يبحثون عنه ، فأخبرهم به - وفيه يقول الشاعر

تُسَائِلُ عَنْ حُصَيْنٍ كُلِّ رَكْبٍ وَعِنْدَ جُهَيْنَةَ الْخَبْرُ الْيَقِينُ

ويفهم من هذه الحكاية أن التي كانت تبحث عن الخبر
هي ابنةُ الرجلِ المقتول ، وهو أبوها.

ويقال أحياناً عن الشخص العالم بحقيقة الأخبار إنّه
جهينةُ الأخبار ، كما قال الحريري في مقامته الفراتية ،
واستعمل العبارة اليازجي في مقامته الرّصافية فقال :

إِذَا كَانَ الْعِبَادُ بِكُلِّ عَصْرِ

شِمَالٍ غَرِيبَةٍ فَأَنَا الْيَمِينُ

سَلُّوا عَمَّا أَرَدْتُمْ مِنْ فَنُونٍ

فَعِنْدَ جُهَيْنَةَ الْخَبَرِ الْيَقِينُ

ويُضْرَبُ المَثَلُ فِي مَعْرِفَةِ الشَّيْءِ حَقِيقَةً .